الملـــخـــــص

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ... وبعد

في هذا البحث قمت بعرض جهود الإمام الزرقاني في إبراز دلائل إعجاز القرآن الكريم والدفاع عنه ، وقسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ، فالتمهيد ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : وهو جهود السابقين في قضية الإعجاز القرآني وحتى العصر الحديث ، تناولت فيه آراء العلماء السابقين حول مفهوم الإعجاز القرآني والكتب التي قد ألفت فيه ، وأظهرت فيه مدى تباين الرؤى والأفكار حول قضية الإعجاز القرآني فمنهم من جعل إعجاز القرآن بالصرفة وأولئك من علماء المعتزلة ، ومنهم من جعل الإعجاز القرآني في الأسلوب والنظم والنسق وغير ذلك .

المبحث الثاني : وذكرت فيه مدى أهمية هذه الدراسات القرآنية وذلك في هذا العصر بالذات ومدى حاجة الناس إليها..

الفصل الأول : وهو بعنوان الإمام الزرقاني وكتابه مناهل العرفان ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تناولت فيه نبذة مختصرة عن نشأة الإمام الزرقاني وحياته العلمية وأهم مؤلفاته.

المبحث الثاني : قمت فيه بعرض دراسة إجمالية لكتاب مناهل العرفان وإظهار المميزات الخاصة التي انفرد وتميز بها عن غيره من الكتب السابقة التي ألفت في هذا الفن .

الفصل الثاني: وهو بعنوان أوجه الإعجاز القرآني وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بيان أوجه الإعجاز البياني وذلك من خلال عرض أوجه الإعجاز البياني والذي يتمثل في لغة القرآن وأسلوبه وطريقة تأليفه.

المبحث الثاني : ويحتوي على اثني عشر وجها من أوجه الإعجاز التي ذكرها الإمام الزرقاني وهي علومه ومعارفه ، ووفاؤه بحاجات البشر، وموقفه من العلوم الكونية ، سياسته في الإصلاح ، وأنباء الغيب فيه ، وآيات العتاب ، وما نزل بعد طول انتظار ، ومظهر النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه ، وعجزه عن

الإتيان ببدله، وعرض الآيات التي تجرده من نسبة القرآن إليه، وذكرآية المباهلة ، وتأثير القرآن ونجاحه.

الفصل الثالث : وقد ذكرت فيه مدى دفاع الإمام الزرقاني عن القرآن الكريم وفيه مبحثان

المبحث الأول : ذكرت فيه الشبهات التي أوردها أعداء الإسلام على تاريخ القرآن الكريم وأسلوبه وقمت بدفعها.

المبحث الثاني : تعرضت فيه لبعض الشبهات الأخرى وقمت بإبراز الجهود المضنية للإمام الزرقاني في دفعها والرد عليها .

الخاتمة : وتحتوي على النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ثم بعض التوصيات التي رأيتها ذات أهمية قصوى وبالغة .

Abstract

Praise be to God alone, prayer and peace upon the Prophet prepared by our master Muhammad and his family and peace after 000 and

In this research you display the efforts of Imam Zargani in highlighting the signs and miracles of the Quran to defend him, and divided the research is to pave the three chapters and a conclusion, and includes Valtmhid Mbgesan:

First topic: the efforts of the former in the case of the Qur'anic miracles and even the modern era, dealt with the views of earlier scholars on the concept of miracles the Qur'an and books that may draw it showed the extent of the visions and ideas on the issue of the Qur'anic miracles Some of them make the miracles of the Quran Babfah and those of scientists Mu'tazilah and some of them make Miracles of the Quran in the method, systems and layout, etc.

Section II: The extent to which the importance of these studies the Koran and in this era of self and how people need to

Chapter I: It is called the Imam M. Zargani and fountains of gratitude and his book includes Mbgesan.

First topic: it addressed a brief for the emergence of the Imam and his life Zargani His main scientific and.

Section II: the offer you an overview study of the book fountains of gratitude and

show special characteristics that himself And characterized this book from other books of the previous draw in this art.
Chapter II, entitled aspects of the Qur'anic miracles and involves two issues.
First topic: graphic statement of miracles, through the display aspects of miracles, which represents the graph in the language of Koran and the method and manner authored .
Section II: It contains twelve face aspect of miracles mentioned by Imam Zargani the sciences and knowledge, and loyalty to the needs of human beings, and the position of cosmic science, policy reform, and news of the unseen, and verses Admonition, and came down after a long wait, and the appearance of the Prophet peace be upon him at the revelation of him, and his inability to Bring replaced if, and display impartiality of the verses that the proportion of the Koran to him, and Zkraah Almpahlp, and the impact and success of the Koran .

Chapter III: The extent to which the defense said Imam Zargani for the Holy Quran and the two issues,
Section One: We have mentioned the suspicion reported by the enemies of Islam on the history and style of the Koran and we have made.
Section II: We were the suspicions of some of the other and we highlight the tireless efforts of Imam Zargani in paid And reply .
Conclusion: It contains our findings through research and then some of the recommendations that we have seen significant And very high.

التمهـــــــــــيد

يشتمل على مبحثين:

المبحث الأول

جهود السابقين في قضية الإعجاز القرآني وحتى العصر الحديث

المبحث الثاني

أهمية هذه الدراسة في هذا العصر

المبحث الأول:

جهود السابقين في قضية الإعجاز القرآني وحتى العصر الحديث

لقد كانت روعة القرآن الكريم وسحر بيانه مستوليا على قلوب المؤمنين وأفكارهم فكانوا يحسون بنشوة بالغة ، وهم يسمعون آيات الذكر الحكيم فلقد كان الذوق العربي السليم يساعد أصحابه على إدراك الأساليب القرآنية في مخاطباته ، وكانت قدسية القرآن الكريم وعظمته مسيطرة على نفوسهم وكان الإقرار بالعجز عن الارتفاع إلى مستواه كامنا في النفوس ، وبقي هذا الأمر بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين وردحا من الزمن في الدولة الأموية ، إلا أن صفاء السليقة العربية بدأت تفقد صفاءها وبدأت الثقافات الفارسية واليونانية تأخذ طريقها إلى المجتمع الإسلامي على يد أبناء هذه الأقطار التي فتحها المسلمون ، وفي خضم هذه البيئة المختلطة بالتيارات الثقافية المتباينة ، برز الحديث عن أوجه إعجاز القرآن الكريم ، وعن سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه ، وكانت مجالس البصرة في القرن الثاني الهجري تموج بالتيارات الفكرية المختلفة من فقهاء ومحدثين ولغويين وأدباء وفلاسفة متكلمين .

ولم يلتفت جمهور العلماء إلى البحث عن أوجه الإعجاز والمعجزة القرآنيـــة، بل لم يبرز مصطلح إعجاز القرآن الكريم على الساحة إلا

بعد أن تكلم واصل بن عطاء [1] وقال : إن إعجاز القرآن الكريم

ليس بشيء ذاتي فيه ، وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عن معارضته ، وهو القول الذي تبناه فيما بعد النظام.[2]

---

(١)البليغ الأفوه أبو حذيفة المخزومي البصري الغزال ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـــ تلميذ الحسن البصري واختلف معه في مسألة حكم مرتكب الكبيرة فطرده الحسن من مجلسه وهو رأس المعتزلة وله مؤلف في التوحيد وكتاب (المنزلة بين المنزلتين)توفي عام ١٣١ هـــ (سير أعلام النبلاء) للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ط مؤسسة الرسالة ببيروت جزء ٥ /٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(٢) شيخ المعتزلة صاحب التصانيف أبو إسحق إبراهيم بن سيار الضبعي البصري المتكلم شيخ الجاحظ ولم يكن ممن نفعه العلم وقد كفره جماعة وله تصانيف جمة منها كتاب (الطفرة)،(الوعيد)،وكتاب(النبوة) ومات في خلافة المعتصم عام٢٣١ هـــ – (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي – جزء١٠ / ٥٤١.

وعرف فيما بعد بالصرفة [1].

عند ذلك بدأ العلماء يتعرضون لأوجه الإعجاز ويتحدثون عنه ، ولعل أول من تولى الرد على القول بالصرفة هوالجاحظ [2] ، فلقد ألف كتابا سماه (نظم القرآن) تعرض فيه لبيان المعاني الغزيرة في الآيات القرآنية ذات الكلمات القليلة، مبينا أن هذا النظم البديع هوسر الإعجاز فيه ، فمثلا يقول في التعليق على قوله تعالى في وصف خمر أهل الجنة ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ الواقعة ٥٦ /١٩ هاتان الكلمتان جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا .

ونهج الأدباء الذين جاءوا من بعده نهجه في الكشف عن المعاني الدقيقة والإرشادات اللطيفة في آيات القرآن الكريم ، وألفوا رسائل في نظم القرآن الكريم فمنهم :

(السجستاني) [3] حيث ألف كتابا وسماه(نظم القرآن) .

وكذلك البلخي [4] ألف كتابا أيضا سماه(نظم القرآن).

كذلك ألف أبو بكر أحمد بن علي كتابا سماه [5] (نظم القرآن)

([1]) الصرفة– صرف الباب أو القلم ونحوهما صريفا صوت ويقال صرف نابه وصرف بنابه والشيء صرفا :رده عن وجهه . ويقال صرف الأجير من العمل والغلام من المكتب خلي سبيله والمال أنفقه والنقد بمثله بدله . (المعجم الوسيط) مجمع اللغة العربية بمصر ٢٠٠٤– طبعة مكتبة الشروق الدولية . والمراد من اللفظ هنا – أي أن الله تعالي صرف العرب والناس عن معارضة القرآن قهرا وجبرا

([2]) العلامة أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي ذو التصانيف الكثيرة أخذ عن النظام وثمامة بن أشرس ، وروى عنه أبو العيناء ولد عام ١٥٩ هـ وتوفي عام٢٥٥هـ (الأعلام) لخير الدين ابن محمود بن محمد الزر يكلي المتوفى سنة١٣٩٦ هـ ط ١٥ دار الملايين بيروت، جزء ٥ / ٧٣ ، ٧٤ .

([3]) أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني ولد عام ٢٣٠ هـ إمام أهل العراق وصفه الذهبي بأنه(من كبار علماء الإسلام ومن أوثق الحفاظ) وكان من بحور العلم ، فهما وعالما وحافظا تلقي العلم عن أبيه شيخ بغداد . وله تصانيف عديدة منها (السنن)،(الناسخ والمنسوخ) ، (والبعث) ، (والمصاحف) توفي رحمه الله سنة ٣١٦هـ . (سير أعلام النبلاء) للذهبي ج ١٣ /٢٢٨ ، ٢٢٩ .

([4]) شيخ الحنفية أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد البلخي من يضرب به المثل ويلقب بأبي حنيفة الصغير حدث عن محمد بن عقيل البلخي وتفقه بأبي بكر بن أبي سعيد ويعرف بالهند واني من أهل محلة باب هند وان مات سنة ٣٦٢هـ في عشر السبعين . (سير أعلام النبلاء) للذهبي تحقيق محمد نعيم العرقسوسي طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت ج ١٦ ص ١٣٠.

([5]) هو أبو بكر أحمد بن علي بن معجور الأحشاد من أفاضل المعتزلة وصلحائهم وزهادهم المعرفف بابن الإخشيد وكانت له ضيعة منها مادته وكان نصف أكثر ما يحمل إليه منها إلى العلم وأهله، ومع ذلك كان حسن الفصاحة، وله معرفة بالعربية والفقه وله في الفقه عدة كتب ومنزله في سوق العطش في درب يعرف بدرب الأحشاد وكان من محبته للعلم وورعه يقول لوكيل له في ضيعته: لا تحدثني بشيء من أمر ضيعتي وتعمد ما يقم رمقي ولا غنا بي عنه دعني أتوفر على العلم وعلى أمر الآخرة وتوفي أبو بكر

كذلك تعرض الإمام ابن قتيبة الدينوري [1].

وتصدى للطاعنين في القرآن الكريم بشكل عام والمنكرين لإعجازه بشكل خاص في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، وكان يمثل إمامة أهل السنة والجماعة، كما كان يمثل الجاحظ المعتزلة.

كما تولى المفسرون بيان مزايا الأسلوب القرآني وبلاغته، ووجوه إعجازه من خلال تفاسيرهم، فنجد شيخ المفسرين في زمانه الإمام ابن جرير الطبري [2] يقول في مقدمة تفسيره :

" ومن أشرفِ تلك المعاني التي فَضَل بها كتابُنا سائرَ الكتب قبله، نظْمُه العجيبُ ورصْفُه الغريب وتأليفُه البديع؛ الذي عجزتْ عن نظم مثْلِ أصغرِ سورة منه الخطباء، وكلَّت عن وَصْف شكل بعضه البلغاء، وتحيَّرت في تأليفه الشُّعراءِ، وتبلَّدت -قصورًا عن أن تأتيَ بمثله- لديه أفهامُ الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليمَ والإقرار بأنه من عند الواحد القهار. مع ما يحوي، مَع ذلك، من المعاني التي هي ترغيب وترهيب، وأمرٌ وزجرٌ، وقَصَص وجَدَل ومَثَل، وما أشبهَ ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء" [3]

=يوم الأحد لثمان بقين من شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وله من الكتب: كتاب المعونة في الأصول ولم يتمه وكتاب المبتدى كتاب المبتدى كتاب نقل القرآن كتاب الإجماع كتاب النقض على الخالدي في الأرجاء كتاب اختصار كتاب أبي علي في النفي والإثبات كتاب اختصار تفسير الطبري. الفهرست المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)المحقق: إبراهيم رمضان الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ – عدد الأجزاء: ١ج١ /٢١٠

(1) العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب التصانيف حدث عن إسحق بن راهويه وأبي حاتم السجستاني وحدث عنه ابنه أحمد بن عبد الله بديار مصر وعبيد الله السكري وقال الخطيب عنه كان ثقة دينا فاضلا ألف الكثير من الكتب منها (مشكل القرآن) ، (الرد على من يقول بخلق القرآن) ، (ومشكل الحديث) وغيرها كثير وكان رأسا في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس ومات في رجب سنة ٢٧٦ هـ (سير أعلام النبلاء) للذهبي ج ١٣ / ٢٩٦ – ٣٠١

(2) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ولد سنة ٢٢٤ هـ بطبرستان ببلاد فارس ، شافعي المذهب أخذ من محمد بن حميد الرازي ومن تلامذته أبو بكر بن خلف وأبو إسحق الطبري،ومن مؤلفاته (جامع البيان في تفسير القرآن) ، (صريح السنة) وغيرها كثير ، توفي رحمه الله ببغداد سنة ٣١٠ هـ. (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي ج ٥ / ٣٤٠ – ٣٥٥.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – عدد الأجزاء: ٢٤ج١/١٩٩

ومن هنا اتسعت دائرة الكتابة في علوم البلاغة بصفة عامة ، وفي إعجاز القرآن الكريم بصفة خاصة ، وأول من ألف كتابا مستقلا تحت هذا العنوان : هو أبو عبدا لله الو اسطي [1] وسماه (إعجاز القرآن البياني) .

وكما أسلفنا من قبل بأن أول من تكلم عن الإعجاز القرآني الجاحظ من المعتزلة أيضاً.

وتعتبر أول رسالة خاصة في إعجاز القرآن للرماني [2].

وهو من المعتزلة أيضاً وأسماها(النكت في إعجاز القرآن) [3]

ومن أشهر علماء ومفسري المعتزلة الإمام الزمخشري[4] .

صاحب كتاب (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)

هذا الكتاب الذي سلك فيه الإمام الزمخشري ، مسلكا دقيقا أبرز فيه وجوه إعجاز القرآن الكريم من خلال الأساليب البلاغية التي نبه عليها وهو يفسرالآيات القرآنية فيكشف وجوها من روائع البيان وعجيب النظم بأسلوب الأديب الضليع والبلاغي الذي يتذوق جمال الكلمة وأفانين القول .

---

(1) محمد بن زيد بن علي بن الحسين الو اسطي أبو عبد الله من كبار علماء الكلام المعتزلي أصله من واسط سكن بغداد وتوفي بها من كتبه (إعجاز القرآن) ، (والإمامة) ، (والزمام في علوم القرآن) وأخذ عن أبي علي الجبائي ومات سنة ٣٠٧ هـ . (الأعلام) للزريكلي ج ٦ ص ١٣٢.

(2) العلامة أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي أخذ عن الزجاج وابن دريد وأخذ عنه أبو القاسم التوخي والجوهري وصنف في التفسير واللغة والنحو والكلام وألف في الاعتزال (صنعة الاستدلال) سبع مجلدات ، وكتاب (الأسماء والصفات) ، (والأ كوان) وكتاب (المعلوم والمجهول) وله نحو من مائة مصنف ومات سنة ٣٨٤ هـ عن ثمان وثمانين سنة . (سير أعلام النبلاء) للذهبي ج ١٦ / ٥٣٤ .

(3) النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .تحقيق/محمد خلف الله ، وزغلول سلام طبع ونشر / دار المعارف القاهرة ، ص ٧٥.

(4) العلامة كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب كتاب (الكشاف) ، (والمفصل) ، (أساس البلاغة) سمع من نصرا بن البطر وغيره ، وروى عنه أبو طاهر السلفي ولد في زمخشر بخوارزم في رجب سنة ٤٦٧ هـ وكان رأسا في البلاغة العربية واللغة والمعاني والبيان ومات رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي جزء ٢٠ / ١٥١ – ١٥٥.

ثم جاء من بعد ذلك الخطابي[1] وهو من علماء أهل السنة والجماعة البارزين ، وعرف بمؤلفاته الجليلة ومن أهمها كتابه المسمى (بيان إعجاز

القرآن الكريم) وقد تعرض في كتابه لآراء العلماء الذين سبقوه بالحديث عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته ، واستفاد منهم وزاد عليهم وأضاف

إضافات جديدة حول مفهوم النظم القرآني والتأليف والمعاني وغير ذلك[2].

ثم جاء من بعد الخطابي الإمام الباقلاني [3] فألف كتابه المشهور

(إعجاز القرآن الكريم) الذي يعتبر من أوسع الكتب التي ألفت لبيان إعجاز القرآن الكريم .

ثم جاء من بعد هؤلاء جميعاً عبد القاهر الجرجاني [4] فكتب ثلاثة كتب لها علاقة وثيقة بإعجاز القرآن وهي (أسرار البلاغة) ،

(دلائل الإعجاز) (الرسالة الشافية) واهتم الجرجاني في هذه الكتب بإبراز جانب المعاني

ثم جاء من بعد ذلك علماء التفسير وتعرضوا كثيرا لبيان أوجه الفصاحة والبلاغة لإبراز الإعجاز البياني في القرآن الكريم ومن هؤلاء :

---

(١) الحافظ اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي صاحب التصانيف ولد سنة بضع وعشرة وثلاث مائة من الهجرة وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة المكرمة ومن أبي العباس الأصم وغيرهم كثير وأخذ الفقه على مذهب الشافعي عن أبي بكر القفال الشاش وحدث عنه أبو حامد الإسفراييني وأبو عبيد الهروي وغيرهم كثير ألف وصنف كتبا كثيرة منها (شرح السنن) ، (وشرح الأسماء الحسنى) وتوفي الخطابي في ربيع الآخر سنة ٣٨٨ هـ . (سير أعلام النبلاء) للذهبي ، تحقيق محمد العرقسوسي ط مؤسسة الرسالة بيروت ، جزء ١٧ صفحة ٤٣٢ – ٤٣٣ .

(٢) (بيان إعجاز القرآن للخطابي) وهو مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صفحة٥٧ بتحقيق محمد خلف الله ، د.محمد زغلول سلام طبعة دارا لمعارف.

(٣) العلامة أوحدا لمتكلمين القاضي أبو بكر بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني صاحب التصانيف وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه ، سمع من أبي بكر أحمد القطيعي وأبي محمد بن ماسي وخرج له أبن أبي الفوارس ، وحدث عنه أبو ذر الهروي وأبو جعفر السمناني وقاضى الموصل وذكره القاضي عياض في (طبقات المالكية) فقال هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة ، ومن مؤلفاته (إعجاز القرآن) (الملل والنحل) (ومناقب الأئمة) ومات رحمه الله في ذي القعدة سنة ٤٠٣ هـ . (سير أعلام النبلاء) للذهبي جزء ١٧ صفحة ١٩٠ – ١٩٣

(٤) شيخ العربية أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أخذ النحو بجر جان عن أبي الحسين محمد بن الحسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي وألف(إعجاز القرآن) ضخم وكتاب (المفتاح) وصنف شرحا حافلا لكتابه (الإ يضاح) ، (العمد في التصريف) ، (والجمل) وغير ذلك وكان شافعيا عالما ذا نسك ودين وتوفي سنة ٤٧١ وقيل سنة ٤٧٤ . (سير أعلام النبلاء) للذهبي تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ط مؤسسة الرسالة ج ١٨ ص ٤٣٢ ٠

أبو حيان في كتابه (البحر المحيط) [1] .

وأبو السعود [2] في كتابه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) .

والشوكاني في كتابه(فتح القدير) [3].

وخصص بعض المفسرين في مقدماتهم لكتبهم في التفسير مقدمات

تتعلق بموضوعات في علوم القرآن الكريم ومن هذه الموضوعات بيان إعجاز القرآن الكريم .

و من هؤلاء المفسرين ابن عطية [4] في تفسيره(المحرر الوجيز).

والقرطبي في تفسيره(الجامع لأحكام القرآن) [5].

---

(١) أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي إمام أهل زمانه ولد في شوال سنة ٦٥٤ بمدينة غرناطة الأندلسية ، درس الفقه والأصول والحديث والتفسير والنحو واللغة وتتلمذ على أبي جعفر بن الزبير وابن أبي الأخوص ، وأخذ عنه تقي الدين السبكي الفقيه الشافعي وابن عقيل والإسنوى وكان بحرا في علوم اللغة والنحو والتفسير من مؤلفاته (التذييل والتكميل) إلى جانب كتابه الشهير (البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم) وتوفي في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هجرية عن تسعين عاما . (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) لأحمد بن محمد المقري – تحقيق إحسان عباس طبعة – دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨ م – و(ديوان أبي حيان الأندلسي) ص ٢٢٨ – ٢٣١ – تحقيق د/ أحمد مطلوب ، د/ خديجة الحديثي .

(٢) محمد بن محمد بن مصطفي العمادى المولى أبو السعود ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨ هـــ ودرس في بلاد متعددة ، من كتبه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، (تحفة الطلاب) ، (قصة هاروت وماروت) ويؤخذ عليه الميل الزائد إلى أرباب الرئاسة ومداهنتهم توفي سنة ٩٨٢ من الهجرة (الأعلام) لخير الدين بن محمود بن محمد الزريكلى الدمشقي ت ١٣٩٦ هجرية طبع ونشر دار العلم للملايين ج ٧ صفحة ٥٩.

(٣) الإمام المجتهد المفسر المحدث الفقيه الأصولي المؤرخ أبو علي بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد بن رزق الشوكاني ولد سنة ١١٧٣ هـــ في بلدة هجرة شوكان ونشأ بصنعاء باليمن واشتغل بكتب التاريخ والأدب شيوخه والده وأحمد بن محمد القابلى وعبد الرحمن بن الأكوع وغيرهم وتلاميذه ابنه أحمد وعلى بن أحمد الصنعانى وغيرهم ومن مؤلفاته (فتح القدير) في التفسير، (نيل الأ وطار) ،(تحفة الذاكرين) وتوفي سنة ٤١٤ هـــ (الأعلام) للزريكلي ج ٦ صفحة ٢٩٨ .

(4) عبد الحق بن غا لب بن عبد الملك بن غا لب بن تمام بن عطية قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي حدث عن أبيه الحجة أبي علي ، وأبي علي النسائي وكان فقيها بارعا عارفا بالأحكام والحديث والتفسير وله التفسير المشهور. (المحرر الوجيز) توفي عام ٥٤٦ هج . (طبقات المفسرين) صفحة ١٧٥ ، ١٧٦ لأحمد بن محمد الأدنروي – تحقيق سليمان بن صالح الخزي – الناشر مكتبة العلوم والحكم .

(5) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين صالح رحل إلى الشرق واستقر بمصر من مؤلفاته (الجامع لأحكام القرآن) ، (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) توفي بمصر ودفن بها سنة ٦٧١ . (الأعلا م) للزريكلي ج ٥ ص ١٩٣ .

والآ لوسي [1] في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) .

وكثر الاهتمام بعلوم القرآن الكريم ، وبخاصة الإعجاز في القرآن الكريم .

فكتب الإمام الزركشي[2] كتابه المشهور(البرهان في علوم القرآن)

وجلال الدين السيوطي[3] ألف كتاباً عظيماً وسماه(الإتقان في علوم القرآن).

(التيسير في قواعد علم التفسير) للكافيجي [4].

وكتاب (فنون الأفنان) لابن الجوزي[5].

---

(1) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي شهاب الدين أبو الثناء مفسر محدث أديب من أهل بغداد كان سلفي الاعتقاد مجتهدا سافر إلى الموصل وله مصنفات كثيرة منها (روح المعاني) ، (غرائب التفسير) توفي سنة ١٢٧٠ هجرية . (الأ علام) للزريكلي ج ٧ ص ١٧٦ – ١٧٧.

(2)محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين عالم بفقه الشافعية والأصول تركي الأصل مصري المولد والوفاة له تصانيف كثيرة منها (البرهان) ، (البحر المحيط) ، (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) وغيرها مات سنة ٦٠٦ هـ (الأعلام) ج ٦ ص ٦٠ – ٦١ .

(3) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق مؤرخ أديب نشأ بالقاهرة يتيما له نحو ٦٠٠ مؤلف منها (الإتقان في علوم القرآن) ، (الأحاديث المنفية) . (التحبير لعلم التفسير) ،(تفسير الجلالين) ، (مناقب مالك) توفي سنة ٩١١ هجرية ودفن بمصر . (الأعلا م) جزء ٣ ص ٣٠١ ،٣٠٢.

(4) محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين أبو عبد الله الكافيجي المولود سنة ٧٨٨ هـ من كبار العلماء بالمعقولات رومي الأصل اشتهر بمصر ولازمه السيوطي ١٤ سنة وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر له تصانيف عديدة أكثرها رسائل منها (مختصر في علم التاريخ) ، (التيسير في قواعد التفسير) ، (حل الإ شكال) ، (الإلما ع بإفادة لو للامتنا ع) وغيرها كثير توفي سنة ٨٧٩ هـ . (الأ علام) ج ٦ / ١٥٠ . ١٥١.

(5) الصاحب العلامة أستاذ دار الخلافة محيي الدين يوسف ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي القرشي البكري الحنبلي ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولد في ذي القعدة سنة٥٨٠ هـ سمع من أبيه جمال الدين أبي الفرج مفخرة أهل العراق ومن يحيى بن بوش وذاكر ابن الكمال وروى عنه الدمياطي والرشيد بن أبي القاسم وتصدر للفقه وكان ذا سمت وهيبة وعبارة فصيحة قتله هولاكو في صفر سنة ٦٥٦ هـ في نحو من سبعين صدرا من أعيان بغداد منهم أولاده. (سير أعلام النبلاء) للذهبي ج٢٣ /٣٧٢ .

وكتاب(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للإمام البقاعي ([1]).

وكتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) لمصطفى صادق الرافعي.[2]

ومن الذين تحدثوا عن الإعجاز الدكتور محمد عبد الله دراز .[3] فقد

ألف كتاباً في إعجاز القرآن سماه (النبأ العظيم) وذكر فيه ثلاثة أوجه من الإعجاز هي :

الإعجاز اللغوي – الإعجاز العلمي – الإعجاز التشريعي.

وكتب أيضا في إعجاز القرآن الكريم الدكتور/ محمد حسين الذهبي([4])

فلقد ألف كتابا تحدث فيه عن إعجاز القرآن الكريم وهو كتاب (التفسير والمفسرون) .

---

(1) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي أبو الحسن برهان الدين ولد في سهل البقاع بسوريا سنة ٨٠٩ هـ وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة ثم عاد إلى دمشق ومات بها سنة ٨٨٥ هـ وله مصنفات كثيرة منها (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، وكتاب (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) وغيرها . (الأ علام) للزريكلي ج ١ / ٥٦ .

(2) مصطفى صادق بن عبد الرازق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي عالم بالأدب وشاعر ومن كبار الكتاب في مصر آنذاك ولد بطنطا بمصر سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م وله (ديوان شعر ط) ثلاث مجلدات ، وكتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) . وكتاب (تحت راية القرآن) توفي رحمه الله ستة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م . (الأعلام) لخير الدين الزريكلي طبع ونشر دار العلم للملايين ج٧ /٢٣٥ .

(3) محمد بن عبد الله دراز فقيه مصري متأدب أزهري كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف له كتب منها (الدين – ط) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام ، وكتاب (النبأ العظيم) توفي سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م . (الأ علام) للزريكلي ج ٦ / ٤٢٦

)ولد بقرية مطوبس بمحافظة كفر الشيخ بمصر سنة ١٣٣٤ هـ– ١٩١٥ م حفظ القرآن ثم درس في دسوق ثم بمعهد الإسكندرية الديني ثم التحق بكلية الشريعة وحصل على العالمية سنة ١٣٥٨ هـ ، اشتغل بالتدريس في المعاهد الأزهرية ثم حصل على الدكتوراه من كلية أصول الدين سنة ١٣٦٦ هـ وعين بها سنة ١٣٧٦ ثم أمينا عاما مساعدا لمجمع البحوث الإسلامية ثم عميدا للكلية ثم أمينا عا ما لمجمع البحوث الإسلامية ثم وزيرا للأوقاف ومات رحمه الله سنة ١٩٧٧ في شهر يوليو . (تتمة الأعلام للزريكلي) وفيات ١٣٩٦ هـ – ١٤١٥ هجرية ،(المستدرك الثاني لتتمة الأعلام) صفحة ٢٤٠ ، محمد خير رمضان يوسف المجلد الثاني – الطبع والنشر / دار ابن حزم بيروت لبنان . وفى هذا المصدر أنه توفى سنة ١٩٧٥

كما ألف محمد علي حسن [1] كتاباً في هذا الشأن سماه (المنار في علوم القرآن) .

ومن أعظم الكتب التي ألفت في علوم القرآن الكريم عامة وفي الإعجاز القرآني خاصة كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للإمام محمد الزرقاني.

وألف المرحوم الشيخ سيد قطب [2] كتابات كثيرة حول القرآن الكريم ونظمه وسوره وأسلوبه ، والوجوه الكثيرة التي تدل على ربانية مصدره وذلك في الكتب الثلاثة التي ألفها حول القرآن الكريم وهي :

(التصوير الفني في القرآن) ، (مشاهد القيامة في القرآن) ، (في ظلال القرآن).

فمنذ القرن الثاني الهجري وإلى اليوم اجتهد العلماء في شتى هذه القرون المتتابعة لإبراز كافة وجوه الإعجاز القرآني في أبهى صورة ،حتى يوضحوا للناس جميعا مدى عظمة القرآن الكريم الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فصلت آية ٤١ /٤٢.

---

(1) فاضل من أهل تونس قدم مصر وجعل ناظرا لمسجد (أبي الذهب) وأوقافه واتصل بإبراهيم باشا فكان يعلم أولاده اللغة العربية وكان عالما ذكيا ودرس بالأزهر الشريف وبعد موت إبراهيم باشا نفاه الخديوي عباس بعد ذلك إلى خارج مصر فذهب إلى الحجاز ثم رحل إلى القسطنطينية فمات هناك من كتبه (تعديل المرقاة وجلاء ألمرآه) ، وكتاب (المنار في علوم القرآن) . (الأ علام) لخير الدين ا بن الزريكلى الدمشقي المتوقي سنة ١٣٩٦ هـــ ، طبع ونشر دار العلم للملايين ، ج ٦ /٣٠٠ محمود بن محمد.

(2)سيد قطب بن إبراهيم مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية(موشا) في أسيوط بمصر تخرج من كلية دار العلوم سنة ١٣٥٣ هـــ ١٩٣٤ م عمل في جريدة الأهرام وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة وعين مدرسا للغة العربية فموظفا في ديوان وزارة المعارف ، أوفد بعثة لدراسة برامج التعليم في أمريكا سنة ١٩٤٨ ولما عاد إنتقد البرامج المصرية وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية وبنى على هذا استقالته وانضم لجماعة الإخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة وسجن مع من سجن من هذه الجماعـــة إلى أن صدر الأمر بإعدامه سنة ١٣٨٧ هـــ ١٩٦٦م ، له مؤلفات كثيرة مطبوعة ومتداولة منها (النقد العربي) ، (في ظلال القرآن) ، (مشاهد القيامة في القرآن) ، (التصوير الفني في القرآن) وغيرهم كثير رحمه الله تعالى ، (الأ عـــلام) للزريكلـــي ج ٣ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

المبحث الثاني:

أهمية هذه الدراسة في هذا العصر :

إن عودة المسلمين إلى كتاب ربهم في العقود الأخيرة من هذا القرن

أصبحت حقيقة واقعة ، والإقبال على الدراسات القرآنية أصبحت ظاهرة لافتة للنظر.

وافتتاح المدارس لتحفيظ القرآن الكريم وعلومه وقراآته عمت بلاد المسلمين ، وانطلقت الصحوة الإسلامية تكتسح أقطار الأرض في الجامعات والطبقات الاجتماعية المختلفة ، وعلى رأسها طبقات الشباب ، وأدرك المسلمون أن لا مكان لهم على وجه الأرض ما لم يحددوا هويتهم الحضارية ، ويثبتوا استقلالهم الفكري وشخصيتهم وذاتهم ، وأدركوا أن ذلك لا يتم إلا بالعودة إلى المنهل الصافي والمورد العذب ، إلى الوحي الإلهي من الكتاب والسنة.

ولما كان التطبيق العملي لهدايات القرآن الكريم لايتم إلا بعد فهم نصوصه والإحاطة بتوجيهاته ،كان لزاماً على علماء المسلمين عامة وعلى المتخصصين في علوم القرآن الكريم خاصة ، أن يتناولوا كل مايتصل بالقرآن الكريم من حيث الشكل والمضمون ، ومن حيث الآراء والترتيل ومن حيث الفهم والاستنباط ، فإن ذلك كله مقومات ومقدمات للالتزام والتطبيق .

ولئن كانت تلك الدراسات والجهود تتم على مستوى الأفراد والمؤسسات العلمية والأصعدة الشعبية ؛ فإن المستويات الرسمية والدول لا زالت تتوجس خيفة من والإلتزام بهدايات القرآن في أنظمة الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في السلم والحرب ، لا إنكاراً ولا جحوداً للهدايات القرآنية وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، ولكن خوفا على مصالحهم وعلى مناصبهم وهيآتهم من النافذين في مصير الدول والشعوب من طواغيت الكفر ، ولو اطمأن هؤلاء الحكام إلى وعد ربهم وأيقنوا حتمية سننه في مخلوقاته ، لبادروا إلى التطبيق والإلتزام ، وصدق الله حيث قال : ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ المائدة ٥ / ٥٢ .

ولما كان موضوع الإعجاز القرآني من أهم الموضوعات الحيوية المتجددة لتعلقه بصحة الرسالة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء بها وإقامة الحجة والبرهان في كل عصر ومصر ، وعلى الناس قاطبة في كل مكان بما يتناسب مع مدارك الناس العلمية ومعطيات الحضارة والتقدم العلمي ؛ فإن التأليف في موضوع إعجاز

القرآن الكريم قد كثر وشمل المجالات العامة والتخصصية ، وذلك لأهمية هذا العلم بالنسبة للمتخصصين وغيرهم ، فإن حاجتهم إليه ماسة وضرورته لهم لازمة. قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ النساء ٤ /٨٢

وقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ محمد٤٧ /٣٤.

الفصـــــــــل الأول

الإمام الزرقاني وكتابـــه (مناهل العرفـــان)

وفيه مبحثـــان

المبحث الأول:

أ- اسمه ونسبه .　　ب- مولده .　　جـــ ـــ حياته العلمية .
د ـــ مؤلفاته .　　هـــ ـــ وفاته .

المبحث الثانـــي:

الدراسة الإجمالية لكتاب (مناهل العرفان)

المبحث الأول :

أ ـــ اسمه ونسبه :

هو الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني من أهل قرية (الجعفرية) مركز (السنطة) التابعة لمحافظة الغربية بمصر، ونسبته إلى (زرقان) وهي بلدة تابعة لمركز تلا بمحافظة المنوفية.

ب ـــ مولده :

لم نستطع التعرف على العام الذي ولد فيه الامام الزرقاني – رحمه الله- وإنما يغلب على الظن أنه ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري (١)

جـــ ـــ حياته العلمية : (٢)

التحق الشيخ – رحمه الله – بالمعهد الأحمدي بطنطا عام ١٩١١م ثم تخرج من كلية أصول الدين وقد نال العالمية عام ١٩٢٥م وعين مدرسا بمعهد الزقازيق عام ١٩٢٦م.

د ـــ مؤلفاته :

أشار الإمام الزرقاني – رحمه الله – في كتابه مناهل العرفان إلى أن له مؤلفاً سماه (المنهل الحديث في علوم الحديث) بالإضافة إلى كتابه الذي اشتهر به

وهو كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن)

كما أن له بحثاً في الدعوة والإرشاد .(٣)

وله بحث آخر في البدع وموقف الإسلام منها فرغ من وضعه سنة ١٣٦٢هـــ وقد وضعه للمتخصصين في الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين في الأزهر ويوجد منه نسخة في مجلد مطبوع سنة ١٣٦٢هـــ في المكتبة الأزهرية .

وهذا القدر هو الذي توصلت إلى معرفته فيما يتعلق بالكتب التي ألفها الإمام

---

(١) مناهل العرفان للزر قاني دراسة وتقويم لخالد بن عثمان السبت طبع ونشر / دار ابن عفان للطبع والنشر ج١/٤٤

(٢) ١٣٦٧ هـــ =١٩٤٨م محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن) و (بحث – ط) في الدعوة والإرشاد. الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـــ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ج٦ / ٢١٠

(٣) أنظر مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج1/ ٤٤.

الزرقاني سوى المقالات التي كان ينشرها في المجلات ، كمجلة الهداية الإسلامية .[1]

هـــ ـــ وفاته :

توفي الإمام الزرقاني– رحمه الله تعالى – سنة ١٣٦٧هـــ .

([1]) انظر مجلة الهداية الإسلامية عدد شهر ربيع الأول من عام ١٣٥٢ هـــ .

المبحث الثاني:

الدراسة الإجمالية لكتاب (مناهل العرفان)

وتشمل هذه الدراسة عدة مباحث منها :

١- مدى استفادة الإمام الزرقاني ممن سبقه في التأليف في هذا الفن .

الإمام- رحمه الله كغيره من أهل العلم ــ يعترف بفضل من سبقه من المؤلفين على تأليفه فهو يقول في أول الكتاب (وبالنظر إلى المادة نفسها فالفضل فيها لعلماء هذه الأمة الذين أبلوا في جمعها بلاء حسناً ولم يخرجوا من الدنيا إلا بعد أن شقوا لنا القريب وقربوا لنا البعيد [1]

هذا من حيث الإجمال أما من حيث التفصيل فإن الامام الزرقاني قد استفاد كثيرا مما كتبه غيره مثل الزركشي [2] **والسيوطي .**[3]

ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١- "ما كتبه الامام الزرقاني في موضوع (أول ما نزل من القرآن) فقد ساق الأقوال التي (ذكرها السيوطي) وبنفس الترتيب الواقع في كتاب الإتقان .

٢- في موضوع (آخر ما نزل) اقتبس الإمام الزرقاني قدراً من ذلك الموضوع من كتاب الإتقان للسيوطي ، حتى بعض النصوص التي أوردها السيوطي هناك .

٣- استثمر الامام الزرقاني كثيراً من مادة المبحث الثالث (نزول القرآن والوحي) من كتاب الإتقان للسيوطي ، والذي اقتبس بدوره كثيراً من مادته من كتاب البرهان للزركشي .

٤- مبحث (أسباب النزول) مقتبس بأجمعه تقريباً من كتاب الإتقان مع بعض التقديم والتأخير، بالإضافة إلى تغيير بعض العبارات والأساليب اللهم إلا موضع

---

(1) مناهل العرفان دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج١ / ٥٠

(٢) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين عالم بفقه الشافعية والأصول تركي الأصل مصري المولد والوفاة له تصانيف عدة منها (الإجابة على ما استدركته عائشة على الصحابة)، (والبحر المحيط) وغيرها كثير ولد سنة ٥٤٤ هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ (الأعلام للزريكلي) ج٦/ ٣١٣ .

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مؤلف منها (الإتقان في علوم القرآن)و(تفسير الجلالين)و(التحبير في علم التفسير) و(الحاوي للفتاوي) و (مناقب مالك) وغيرها كثير و توفي بمصر سنة ٩١١ هـ (الأعلام) للزريكلي ج ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(عموم اللفظ وخصوصه) فإنه ذكر فيه أدلة الفريقين وصاغها بصياغة منطقية وليس ذلك كله مأخوذا من الإتقان.

٥- أما ما يتعلق بفوائد أسباب النزول نقل السيوطي ذلك من البرهان مع اختلافات يسيرة جداً ، ثم نقلها الإمام الزرقاني بدوره من السيوطي مع شيء من التقديم والتأخير والزيادة والحذف "[١]

٦- استقى الإمام الزرقاني من كتاب (النبأ العظيم) للدكتور محمد عبد الله دراز [٢] في مبحثين (أسلوب القرآن الكريم) فنجد عامة ما كتبة الإمام الزرقاني في ذلك المبحث مقتبس ـــ بعبارته أحياناً ـــ من كلام دراز مع شيء من التقديم والتأخير والزيادة والحذف [٣]

٢- أثر الكتاب على ما كتب بعده في هذا الفن :

بالنظر إلى الكتب المؤلفة في علوم القرآن التي جاءت بعد كتاب الإمام الزرقاني مثل كتاب (مباحث في علوم القرآن) للدكتور/ صبحي الصالح[٤]

كتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان .[٥]

وكتاب (التفسير والمفسرون) للدكتور الذهبي .[٦]

وكتاب (النبأ العظيم) ، (مدخل إلى القرآن الكريم) للدكتور / دراز وغيرهم من الكتب التي ألفت في هذا الفن .

---

(١) بتصريف يسيرمن كتاب مناهل دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج ١ / ٥٢ ، ٥٣

(٢) محمد بن عبد الله دراز فقيه مصري أزهري كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر له كتب منها (الدين – ط) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام توفي ســــنة ١٣٧٧ هـــ – ١٩٥٨ م (الأعلام) للزريكلي ج ٢٤٦/٦

(٣) ـــ قارن ما في المناهل ج ٢٢٢/٢ مع ما في النبأ العظيم ص ١٠١ ، ص ١٣٦

(٤) عالم ومفكر إسلامي لبناني شهيد ولد بطرابلس تركي الأصل درس يا لأزهر بمصر ثم نال الدكتوراه من السربون سنة ١٩٥٤ م عين نائبا لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى واغتيل ببيروت سنة ١٩٨٦ له آ ثار منها (مباحث في علوم القرآن) ، (علوم الحديث ومصطلحه) ، (دراسات في فقه اللغة) وغيرها كثير (ذيل الأعلام) لأحمد العلاونه النا شر دار المنارة ط أولى سنة ١٩٩٨ م .

(٥) منا ع خليل القطان ولد بمركز أشمون محافظة المنوفية بمصرفي أكتوبر سنة ١٩٢٥ حفظ القرآن ثم التحق بمعهد شبين الكوم الديني ومنه إلى جامعة الأزهر وحصل على العالمية سنة ١٩٥١ م مصنفاته كثيرة منه (مباحث في علوم القرآن) توفى سنة ١٩٩٩.

(٦) ولد الإمام الذهبي بقرية مطوبس محافظة كفر الشيخ سنة ١٩١٥ م درس بمعهد دسوق الديني ثم بمعهد الأ سكندرية الديني ثم التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر وحصل على العالمية سنة١٣٥٨ هـــ وعمل بالتدريس في معاهد الأزهر ثم حصــــل علـــى الدكتوراه من كلية أصول الدين سنة ١٣٦٦ وعين بها مدرسا ثم عميدا ثم أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية ثم وزيرا للأوقاف وفى هذا المصدر أنه توفى سنة ١٩٧٥ (المستدرك الثاني لتتمة الأ علام) ص٢٤٠ محمد خير رمضان يوسف – المجلد الثاني عبـــد الله –يوسف الطبع والنشر دار ابن حزم بيروت

وجدت أن عدداً من أصحاب تلك المؤلفات استفادوا ــ بدرجة متفاوتة ــ من كتاب مناهل العرفان ، وبقدر من الاستقلالية في البحث والمصادر .

وبعد هذا يمكننا أن نشير إلى بعض النماذج المقتبسة من كتاب الإمام الزرقاني ومأخوذة منه فمن ذلك :

ــ" تابع القطان في مباحثه الزرقاني حينما تعرض لذكر معنى (أسباب النزول).

– نجد أن الإمام الزرقاني حينما تعرض لذكر الفوائد المترتبة على معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ، قد تابعه على ذلك القطان أيضاً .[1]

– استفاد الدكتور صبحي الصالح في مبحث (النسخ) من كتابه (مباحث في علوم القرآن) مما كتبه الإمام الزرقاني حول هذا الموضوع في كتابه مناهل العرفان ، وهذه الاستفادة وإن – كانت قليلة – إلا أنها تعد من أكثر المواضيع التي استفاد منها من كتاب الإمام الزرقاني.

أما ما كتب في نفس الموضوع – النسخ – في كتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان فهو يعد اختصارا تلخيصا للذي أثبته الإمام الزرقاني في نفس المبحث – النسخ – من كتابه مناهل العرفان .

– خالف الإمام الزرقاني – رحمه الله – كلا من الزركشي في كتابه (البرهان) ، والسيوطي في كتابه (الإتقان) ، من جهة ترتيب المباحث والموضوعات ، فكان رأيه أن يُبدأ أولاً ــ بعد التعريفات والمقدمات– بموضوع (نزول القرآن والوحي) ، وقد حصل هذا الأمر في كتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان .

ــ كما أفاد الدكتور صبحي صالح من مناهل العرفان أيضا في الفصل الأول من الباب الثالث "[2]

والذي تحدث فيه عن تاريخ هذا العلم[3] والحاصل أن أصحاب تلك المؤلفات استفادوا من كتاب (مناهل العرفان) كما هو الشأن بين أهل العلم حيث ينقل بعضهم عن بعض.

(١) انظر (المناهل) ج ١/ ٨٥ ، ٩٩ ، (مباحث في علوم القرآن) لمناع القطان ص ٧٣ ، ٧٩ .

(٢) بتصريف يسيرمن كتاب مناهل دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج ١/ ٥٥ :٥٩

(٣) انظر (مباحث في علوم القرآن.) دراسة وتحقيق – للدكتور صبحي الصالح الناشر – دار العلم للملايين ص ١١٩ – ١٢٦

٣- في بيان مدى استيفاء المؤلف لمباحث هذا العلم :

ــ " إن عدد المباحث التي عقدها المؤلف في هذا الكتاب بلغت سبعة عشر مبحثا لا غير، وهذا العدد يعد ضئيلا إذا ما قورن بعدد الأنواع والمباحث التي تعرض لها السيوطي في كتابه (التحبير) والتي زادت على المائة بنوعين ؛ وإذا ما قورن بعدد المباحث والأنواع التي جمعها في كتابه الآخر

(الإتقان) والتي بلغت ثمانين نوعاً.

وذلك العدد ضئيل كذلك إذا ما قورن بعدد الأنواع التي حررها الزركشي

في كتابه(البرهان) ؛ ولكن يجب الإلتفات إلى أمرين اثنين وهما :

الأول:بمجرد الاطلاع على فهارس كتاب المناهل ندرك أن المؤلف قد تعرض لأهم مباحث وأنواع ذلك الفن الموسوم بـــ (علوم القرآن) .

الثاني: وهو أن الأحوال والظروف العصيبة التي أخرج فيها المؤلف هذا الكتاب ، والتي تتمثل في نقص الورق وعدم توافر مواد الطباعة وقصر ذات اليد ، لم تساعده على مواصلة الكتابة في موضوعات أخرى ، وعلل ذلك بقوله : (إن الضرورات تبيح المحظورات)"[1]

٤- إضافات المؤلف في هذا الكتاب إجمالا:

أضاف المؤلف بعض الإضافات على ما كتبه الزركشي والسيوطي بغض النظر عن وجود بعض الجزئيات المندرجة تحتها في الإتقان أو البرهان وهذه الإضافات جاءت في أربعة مباحث وهي :

١- المبحث الأول : في معنى علوم القرآن الكريم .[٢] .

٢- المبحث الثاني : في تاريخ علوم القرآن الكريم [٣]

٣- المبحث الثالث عشر : في ترجمة القرآن الكريم وحكمها تفصيلاً [٤].

٤- المبحث السادس عشر : في أسلوب القرآن الكريم [٥]

---

(1) (مناهل العرفان الزرقاني) دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج١/ ٦٢دار ابن عفان للنشر والتوزيع

(٢) (المناهل) ج ٥/١ .

(٣) (المناهل) ج ٢١/١

(٤) (المناهل) ج ٢ /٣ .

(٥) (المناهل) ج ١٩٨/٢.

وهذا المبحث الأخير وإن كان رسمه موجودا في الإتقان والبرهان إلا أنه في الحقيقة يتحدث عن خصائص الأسلوب القرآني وبهذا الاعتبار يمكننا أن نعتبر هذا المبحث وبهذه الصورة إضافة قد مها المؤلف في هذا الكتاب "[1]

٥ـ منهج المؤلف في الكتاب :

المنهج الذي سار عليه الإمام في كتابه يتلخص في النقاط التالية :

-" فيما يتعلق باختيار الأنواع والمباحث المتعلقة بالقرآن، فقد اختار – رحمه الله – أكثرها أهمية وذكرها .

-عقد الإمام في هذا الكتاب سبعة عشر مبحثاً وجعل كل مبحث منها يضم مسائل متنوعة تندرج تحته كما وضع لكثير من المسائل والتفريعات عناوين خاصة تدل عليها .

- يعنى الإمام ببيان معنى العنوان الذي وضعه للبحث إن كان الأمر يتطلب ذلك .

- من الملامح البارزة في هذا الكتاب أنه يذكر كلمة (فوائد) فمثلاً يقول:

تحت مبحث (أول ما نزل وآخر ما نزل) : فوائد الإلمام بأول ما نزل وآخره .
وتحت مبحث (أسباب النزول) يقول (فوائد معرفة أسباب النزول) [2]

- محاولة الإمام عند أي مناسبة توضيح العلاقة القوية بين الإسلام و العلم وأن الإسلام يدعو إلى العلم والبحث والنظر في الكون والنفس.

- العمل على إ براز أسرار التشريع وحكمه كلما دعى المقام لذلك ، ليبرهن على أن هذا الدين هو دواء البشرية وسبيل كمالها ونجاحها .

- يورد الإمام خلاف أهل العلم في المسألة التي هو بصددها مع عرض أدلتهم ومناقشتها ثم يذكر القول الراجح .

- بعد كل مبحث يسوق الإمام جملة من الشبه المتعلقة بموضوعه ثم يحاول الإجابة عنها .

---

(١) بتصريف يسيرمن كتاب مناهل دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج ٨١/١

(٢) مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم لخالد بن عثمان السبت دار ابن عفان للنشر والتوزيع ص ٨٤

ــ ينبه الإمام أحيانا على الحكمة المتعلقة ببعض أمور التشريع ، كذكره الحكمة من نزول القرآن منجما ؟

والحكمة من النسخ والحكمة من تسوير السور وغير ذلك .[1]

– يكتفي الإمام بذكر بعض الأمثلة من القرآن الكريم تحت كل مبحث دون محاولة الاستيعاب،هذا وقد التزم ــ رحمه الله ــ بالمنهج الذي رسمه في مقدمة الكتاب ووفى به " [2]

(٦) أسلوب الإمام الزرقاني في كتابه :

"صاغ الإمام الزرقاني كتابه مناهل العرفان في قالب يجمع بين السلاسة والمتانة ، وقد صرح بذلك عند ذكره الأهداف التي من أجلها وضع كتابه هذا فقال :

أولها : أن تكون كتابتي من النسق الأزهري الجديد في تفكيره وفي تعبيره ، بحيث يتيسر فهمه على القراء ، من أبناء هذا الجيل ، سواء منهم المحقق الأزهري أوالمثقف المدني ، فإن لكل زمان لغة ولساناً ، ومنطقاً وبرهاناً ، وبذلك مزج بين حاجة الأزهريين إلى البحث والتحليل ، وبين رغبات جماهير القراء المعاصرين في تقريب الأسلوب وتعبيد السبيل.

وقد أوقعته تلك المحاولة في الإسهاب فعلاً فجاء الكتاب مطولاً، ولو سلم من ذلك الإسهاب لسقط ما يقارب نصف حجمه الحالي أو ثلثه[3] .

ومع هذا فقد صاغ المؤلف ــ رحمه الله ــ كتابه بعبارة أدبية جيدة يتخللها في أحيان كثيرة حكم رقيقة وأمثال بليغة ، مع حرصه على الأسلوب الذي يبعث الهمم على العمل الدائب لنصرة هذا الدين والانقياد لتعاليمه " [4]

(٧) ذكر الأهداف التي رمى المؤلف لتحقيقها في هذا الكتاب :

" لقد لخص الإمام الزرقاني الأهداف التي حاول تحقيقها بما حاصله :

١– أن تكون كتابته من النسق الأزهري الجديد في تفكيره وتعبيره بحيث يتيسر فهمه على أبناء هذا العصر سواء منهم المتخصص أو المثقف

---

(1) المناهل (٢/٩٠) .

(٢) بتصريف يسيرمن كتاب مناهل دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج ٨١/١

(٣)للوقوف على بعض صور الإسهاب ، المناهل : (٤/١ ، ١٦ ــ ٢٠ ، ٨٤ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ ، ٣٢٩ ، ٤٧٤) .

(٤) بتصريف يسيرمن كتاب مناهل دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ج ١/ ٨٦ ، ٨٧

٢- معالجة الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام.

٣- إظهار الرابطة القوية بين الإسلام والعلم في كل مناسبة لدفع قول بعض الحاقدين على الإسلام ، أن الإسلام يحارب العلم.

٤- تجلية أسرار التشريع وحكمه إذا احتمل المقام لذلك.

٥- إيقاظ همم القراء وإحياء عزائمهم ليحملوا رسالة الإسلام فيبلغوها إلى العالم أجمع "[١]

(٨) ذكر مباحث كتاب مناهل العرفان :

لقد حوى الكتاب سبعة عشر مبحثاً من مباحث علوم القرآن وهذه المباحث هي:

١- " المبحث الأول : في معنى علوم القرآن الكريم .

٢- المبحث الثاني : في تاريخ القرآن الكريم .

٣- المبحث الثالث : في نزول القرآن الكريم .

٤- المبحث الرابع : في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن الكريم .

٥- المبحث الخامس : في أسباب النزول.

٦- المبحث السادس : في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف .

٧- المبحث السابع : في المكي والمدني من القرآن الكريم .

٨ـ المبحث الثامن : في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به .

٩ـ المبحث التاسع : في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره .

١٠ـ المبحث العاشر : كتابة القرآن الكريم ورسمه ومصاحفه .

١١ـ المبحث الحادي عشر : في القراءات والقراء والشبهات فيها .

١٢- المبحث الثاني عشر : في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما .

١٣- المبحث الثالث عشر : في ترجمة القرآن الكريم وحكمها تفصيلاً .

١٤- المبحث الرابع عشر : في النسخ .

١٥- المبحث الخامس عشر : في المحكم والمتشابه من القرآن الكريم .

---

(١) بتصريف يسيرمن كتاب مناهل دراسة وتقويم – خالد بن عثمان السبت ص ٨٨

١٦- المبحث السادس عشر : في أسلوب القرآن الكريم .

١٧- المبحث السابع عشر : في إعجاز القرآن الكريم وما يتعلق به "[١]

(٩) في توثيق المادة العلمية ، والاهتمام بالعزو مع الدقة في النقل :

ويلاحظ على المؤلف ما يلى :

١- أنه ينقل في عدد من المواضع في هذا الكتاب عن كثير من العلماء بواسطة كتاب آخر كالإتقان للسيوطي ، فهو يعول على المصادر البديلة أو الثانوية ويدع المصادر الأصلية ومن أمثلة ذلك ما يلي :

قال الإمام : [٢] وإلى هذا يشير ابن تيمية بقوله : (قد يجيء كثيراً

من هذا الباب ... إلى قوله ... ولغيره ممن كان بمنزلته)أ.هـ وهذا في الحقيقة إنما نقله المؤلف بواسطة الإتقان للسيوطي .[٣]

في أحيان متعددة ينقل المؤلف كلاماً لأحد العلماء ولا يشير إلى ذلك ، وقد يكون النقل عبارة عن تهذيب لمبحث بجملته ، دون نسبة شيء من ذلك إلى قائله الأصلي ، ومن أمثلة ذلك . اقتباس المؤلف كثيراً من كلام السيوطي في الإتقان في موضوع (نزول القرآن والوحي)[٤] دون الإشارة إلى ذلك

٢- بمقارنة النصوص التي ينقلها المؤلف عن غيره بمواضعها الأصلية نجد ما يلي :

نقل المؤلف تفوته الدقة في عدد لا بأس به وأمثلة ذلك :

قال الإمام : [٥] روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن عائشة أم المؤمنين ــ رضي الله عنها ــ أنها قالت : (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم .... الخ .

([١]) مناهل العرفان دراسة وتقويم لخالد بن عثمان السبت ص٨٨ ، ٩٠.

(٢) مناهل العرفان ج ١ / ١١٩

(٣) . (الإتقان) ج ١١٨/١و (البرهان) ج ٣٣/١ للزركشي .

([٤]) . علماً بأن السيوطي يختصر غالباً في الروايات التي أودعها " الإتقان – انظر (الإتقان للسيوطي ج١ /٨٦)

(٥) مناهل العرفان للإمام الزرقاني ج ١/ ٨٦

وبالمقارنة مع لفظ البخاري في الصحيح نجد بعض الاختلافات بين اللفظين) [1]

وذلك أنه أورده كما ، أورده السيوطي – فيه شيء من التغيير ـــ بينما عبارة شيخ الإسلام (ابن تيمية)[2] – رحمه الله ـــ في مقدمته تتضمن

بعض الاختلافات عن النص الذي أورده السيوطي والزرقاني .

ولمعرفة ذلك نرجع بالمقارنة بين هذا النص ونص كلام شيخ الإسلام في مقدمته (ص ١٢ ، ١٣) .

(١٠) ذكر المميزات الخاصة في (مناهل العرفان) :

وبيان منزلته بين الكتب المؤلفة في هذا الفن

ومن أهم مميزات هذا الكتاب ما يلي :

١- " أن جميع مباحثه تعتبر من أهم مباحث هذا العلم وبخاصة لطالب هذا العلم . ٢- أن الإمام اطلع على كتب كثيرة منها المتقدم ومنها المتأخر فجاء كتابه كمكتبة شاملة تضم الفوائد والتحقيقات المتحدة من شتى التخصصات العلمية.

٣- جمع الإمام في تأليفه بين التحقيق العلمي اللازم للمتخصصين والأسلوب العصري اللازم للمثقفين .

٤- انفرد الإمام الزرقاني بمباحث لم يتطرق إليها قبله الزركشي ولا السيوطي .

٥- تميز الإمام الزرقاني بشخصية فريدة وأسلوب متميز .

٦- تميز أسلوبه بالسمة الأدبية في جميع مباحثه .

([1]) عنْ عائِشَةَ، رَضِي الله عَنْهَا، أنَّها قالَتْ(أوَّلُ مَا بدئ بِهِ رسولُ الله مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكانَ لَا يَرى رُؤْيا إلاَّ جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ) – (،عمدة القاري شرح صحيح البخاري):لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني المتوفى- ٨٥٥ هـــ – الناشر/دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢- ج٢٤ /١٢٧ .

– وَقَوْلُهُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ (كَانَ أَوَّلُ مَا بدئ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ) – (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) لأبى زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى- ٦٧٦هـــ – الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية ج٢/ ١٩٧.

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن تيمية الإمام شيخ الإسلام ولد بحران ثم انتقل إلى دمشق ومنها إلى مصر وعاد مرة أخرى إلى دمشق وسجن سنة٧٢٠هـــ بقلعة دمشق حتى مات بها سنة ٧٢٨ هـــ مؤلفاته تربو على ثلاثمائة مجلد منها (السياسة الشرعية) و(الفتاوى) و(الجمع بين النقل والعقل) الأعلام للزريكلي ج ١ / ١٤٤

٧- تميز الإمام في كتابه هذا بالربط المستمر بين الدين والمعارف الأخرى بالإضافة إلى محاولة بيان أسرار التشريع وحكمه .

٨- لم يتبع الإمام في تأليفه هذا الكتاب أساليب من سبقه في كثرة التنويع لعلوم القرآن ، بل قام بدمج الأنواع المتشابهة في بعض وجعلها تحت مبحث واحد .

٩- يعتبر هذا المؤَلف (مناهل العرفان) من المراجع الأساسية في موضوع علوم القرآن الكريم ، ولذا حظي بشهرة واسعة وأضحى من أكثر كتب هذا الفن ذيوعا وتداولاً وانتشارا" [١]

(١١) ذكر المصادر التي استفاد منها المؤلف (ولو بواسطة) :

استمد الإمام الزرقاني معارفه – بعد فتوح الله تعالى وتوفيقه ــ مما كتبه علماء الإسلام قديما وحديثا في القرآن الكريم وعلومه ، والتفسير ومقدماته وعلم تاريخ التشريع ، وعلوم الكلام والأصول واللغة ومعاجمها والفلسفة والاجتماع وعلم النفس والأخلاق وبعض البحوث والرسائل والمجلات عربية كانت أو مترجمة وهذا ما قاله الزرقاني في أول كتابه .

ومن أهم المؤلفات التي استفاد من موادها المؤلف ما يلي :

١- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (في التصوف) [٢]

جمعة أحمد بن مبارك.

٢- إتحاف فضلاء البشر / احمد بن محمد البناء (ت ١١١٧ هـــ)[٣].

٣- الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) [٤] .

٤- إحياء علوم الدين / أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥) [٥] .

٥- أساس البلاغة / جار الله الزمخشري (ت ٣٥٨) [٦] .

---

(١) مناهل العرفان دراسة وتقويم لخالد بن عثمان السبت ص / ١٠٦ ، ١٠٧

(٢) (مناهل العرفان) ج ١/٣٧٥.

(٣)ــ مناهل العرفان (١/٣٨٦) .

(٤)(ــ المصدر السابق (١/٣٨ ، ١٧٤ ، ٣٣٩ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٥٨، ٤٧٧ ، ٤٨٢، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧، ٥١٧، ٥٢٩ ، ٥٤٧، ٢/٥٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥) .

(٥) ــ المصدر السابق (١/٥ ، ٥١٣ ،٥٥٨) .

(٦)ــ المصدر السابق (٢/٥) .

٦- أسباب النزول / أبو الحسن الو احدي(ت ٤٦٨) [١]

٧- إلجام العوام عن علم الكلام / أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥) [٢]

٨- الأم / محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤) [٣] .

٩- إنجيل متى [٤]

١٠- إنجيل مرقص [٥]

١١- البحر المحيط (في الأصول) بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤)[٦]

١٢- البحر المحيط (في تفسير القرآن) / محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (.ت٧٤٥)[٧]

١٣- البرهان في علوم القرآن / بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤)[٨]

١٤- البيان / لأبي طاهر بن أبي هشام [٩]

١٥- تاريخ القرآن / أبو عبد الله الزنجاني (ت ١٣٦٠هــ) [١٠]

١٦- تأويل مشكل القرآن / عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت : ٢٧٠ هــ) [١١]

١٧- التبيان في آداب حملة القرآن / شرف الدين النووي (ت٦٧٦هــ)[١٢]

١٨- تطور الأم / ألفه أحد الفلاسفة الغربيين [١٣]

---

(١) ــ المصدر السابق (١٠٢/٢) .

(٢) ــ المصدر السابق (٢ / ٦٥) .

(٣) ــ المصدر السابق (٦٠/٢) .

(٤) المصدر السابق (٨٨/٢) .

(٥) ــ المصدر السابق (٢٧/١ ، ٢ / ٥٧ ،٦٩) .

(٦) مناهل العرفان ٢٧/١ ، ٥٧/٢ ، ٦٩

(٧) المرجع السابق ١/ ٣٨٢، ٣٨٧

(٨) المرجع السابق ١ / ٤٧٨، ٥٤٦

(٩) المرجع السابق ٤١٩/١

(١٠) المرجع السابق ٤/٢

(١١) المرجع السابق ٢٦٩/١ ،٢٧٠

(١٢) المرجع السابق ٨/١ ،١٨٢، ٢٦٠ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤

(١٣) المرجع السابق ١/ ٤٧٧

١٩- تفسير الآلوسى روح المعاني) / شهاب الدين الآلوسى [1](ت١٢٧٠هـ) .

٢٠- تفسير البغوي (معالم التنزيل / محمد بن الحسين البغوي (ت ٥١٦هـ) [2]

٢١- تفسيرالتستري/ سهل بن عبد الله التستري (٣٨٣هـ)[3]

٢٢- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لمحمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) . [4]

٢٣- تفسيرا بن عربي / محيي الدين بن عربي (٦٣٨هـ) [5]

٢٤- تفسيرا بن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (عبد الحق غالب ابن عطية (٥٤٦هـ) [6]

٢٥- تفسير القرآن العظيم / الحافظ عماد الدين بن كثير (ت ٧٧٤هـ) [7]

٢٦- التفسير الكبير / الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) [8]

٢٧- تفسير المنار / محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) [9]

٢٨- تفسير النسفي / مدارك التنزيل وحقائق التأويل) عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧٠١ هـ)[10]

٢٩- التلويح في كشف حقائق التنقيح / سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)[11]

---

(١) المرجع السابق ١ / ٣٥٨، ٣٧٩، ٤٧٣، ٥٥٢

(٢) المرجع السابق ٢ / ٦

(٣) المرجع السابق ١ /٥٥٣

(٤) المرجع السابق ١/ ٢٦٢ ، ٢ / ٢٥٦

(٥) مناهل العرفان ١ / ٥٥٤

(٦) المصدر السابق ١ / ٣٤٩

(٧) المصدر السابق ١ / ٩٣ ، ٢ / ٦

(٨) المصدر السابق ١ / ٧٣

(٩) المصدر السابق ١ / ٢١٦ ، ٢٦١ ، ٥٢٠

(١٠) المصدر السابق ٢ / ٢٩٧

(١١) المصدر السابق ١ / ١٥

٣٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / للحافظ أبي عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)[١]

٣١- التنبيه على فضل علوم القرآن/ لأبي القاسم النيسابوري (ت٤٠٦هـ)[٢]

٣٢- تهذيب الأسماء واللغات / شرف الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) [٣] .

٣٣- التوراة (السفر الأول) [٤]

٣٤- جامع البيان في القراءات السبع / أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)[٥]

٣٥- الجامع لشعب الإيمان/ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)[٦]

٣٦- جمال القراء وكمال الإ قراء / علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)[٧]

٣٧- جمع الجوامع / تاج الدين السبكي (٧٧١هـ)[٨]

٣٨- الجواهر في تفسير القرآن العظيم / طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ)[٩]

٣٩- حاشية البناني على جمع الجوامع / عبد الرحمن بن جار الله البناني (١١٩٨ [١٠]

٤٠- حاشية ترشيح المستفيدين [١١]

٤١- حاشية عبد الحكيم على المطول / الملا عبد الحكيم السيالكوتي الهندي (ت ١٠٦٧هـ) [١٢]

٤٢- محمد بن أحمد الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠هـ) [١٣]

---

(١) المصدر السابق ١ / ٤٦١

(٢) المصدر السابق ١ / ١٩٣

(٣) المصدر السابق ١ / ٤٩٧

(٤) المصدر السابق ٢ / ٨٧ ، ٨٨

(٥) المصدر السابق ١ / ٤١٥

(٦) مناهل العرفان ١ / ٣٧٣

(٧) مناهل العرفان ١ / ٢٤٥

(٨) المصدر السابق ١ / ١٠٥ ، ١٢٩ ، ٤٢٩

(٩) المصدر السابق ١ / ٢٢٢

(١٠) المصدر السابق ١/ ٤٣٠

(١١) المصدر السابق ٢ / ٥٧

(١٢) المصدر السابق ١ / ٤٧١

(١٣) المصدر السابق ٢/ ٥٧

٤٣- حاشية على شرح الدوائي [١] للعقائد العضد ية / محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ) [٢]

٤٤- درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهات / فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) [٣]

٤٥- رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات/ محمد ابن أحمد بن اللبان (ت٧٤٩هـ) [٤]

٤٦- الرسالة / الشافعي (ت ٢٠٤هـ) [٥]

٤٧- السنن / الحارث بن أسعد المحاسبي (٢٤٣٥هـ) [٦]

٤٨- السيرة الحلبية (إنسان العيون) علي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤) [٧]

٤٩- الشاطبية / حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع / القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت٥٩٠هـ) [٨]

٥٠- الشخصية الإنسانية / ميرس الإنجليزي [٩]

٥١- شرح التفتازاني على العقائد النسفية / سعد الدين التفتازاني [١٠]

٥٢- شرح الزرقاني على المواهبشرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) في السيرة النبوية) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت ١٢٢٢ ([١١])

٥٣- شرح الطيبة / أبو القاسم محمد النويري المالكي (ت ٨٥٧هـ)[١]

([١]) جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدوائي المتوفى ٩٠٨ هـ - كشف الظنون ٢ / ١١٤٤- أنظر مناهل العرفان دراسة وتقويم لخالد بن عثمان السبت ص ١١٤ .

([٢]) المصدر السابق ١ / ٥١٥ ، ٢ / ١٩٢

([٣]) مناهل العرفان ٢ / ٢٠٢

([٤]) المصدر السابق ٢ / ١٩٣

([٥]) المصدر السابق ١ / ٤٧

([٦]) المصدر السابق ١ / ٢٤٣

([٧]) المصدر السابق ٢ / ٥٢

([٨]) المصدر السابق ١/ ٤٥٠ - ٤٥٥

([٩]) المصدر السابق ١ / ٦٤

([١٠]) المصدر السابق ١ / ٥٤٦

([١١]) المصدر السابق ٢ / ٥٢

٥٤- شرح العيني على البخاري (عمدة القاري ، شرح صحيح البخاري) لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) [٢]

٥٥- شرح القاموس (تاج العروس من جواهر القاموس) محمد بن الرازق الزبيدي (ت ١٢١٥هـ) [٣]

٥٦- شرح المحلي على جمع الجوامع / جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ)[٤]

٥٧- طبقات القراء (غاية النهاية في طبقات القراء) لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) [٥]

٥٨- طبقات المفسرين / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) [٦]

٥٩- عقائد النسفي / نجم الدين أبو حفص بن محمد النسفي (ت ٥٣٧هـ) [٧]

٦٠- القاموس المحيط / الفيروزبادي (ت ٨١٧هـ) [٨]

٦١- القراءات للو اسطي [٩] (تحفة البررة في القراءات العشرة) للو اسطي (ت ٧٤٠هـ) [١٠]

٦٢- القرآن والعلوم العصرية / طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ) [١١]

٦٣- الكشاف / للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) [١٢]

٦٤- اللوائح / لأبي الفضل الرازي [١٣]

---

(١) المصدر السابق ١ / ٤٠٦ ، ٤١٢ ، ٤٢١

(٢) مناهل العرفان ١ / ٢٦٠

(٣) المصدر السابق ٢ / ٦

(٤) المصدر السابق ١ / ١١٧ ، ١٢٩

(٥) المصدر السابق ١ / ٤٤٩

(٦) المصدر السابق ١ / ٤٩٨

(٧) المصدر السابق ١ / ٥٤٦

(٨) المصدر السابق ١ / ١٣٦، ١٤٦ ، ٣٤٣ ، ٤٠٠ ، ٤٧٢ ، ٢ / ٧٦ ، ١٦٦

(٩) وللمؤلف (الكنز في القراءات العشر) جمع فيه بين الإرشاد للقلانسي ، والتيسير للداني ، وزاده فوائد. انظر كشف الظنون ٢ / ١٥١٩ .مناهل العرفان دراسة وتقويم لخالد بن عثمان السبت ص ١١٨ .

(١٠) المصدر السابق ١ / ١٧٤

(١١) المصدر السابق ١ / ٥٧٠

(١٢) المصدر السابق ١ / ٣٤٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧

(١٣) مناهل العرفان ١ / ١٤٨

٦٥- الكون الغامض / السير جيمس جينز [١]

٦٦- فتاوى ابن الصلاح / أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهر زوري المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٢ هـ) [٢]

٦٧- المجموع شرح المهذب / محي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) [٣]

٦٨- مجمع البيان لعلوم القرآن أبو علي الطبرسي الرافضي (ت ٨٣٥هـ) [٤]

٦٩- طيبة النشر في القراءات العشر/ محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) [٥]

٧٠- المحلى / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) [٦]

٧١- مختار الصحاح / زين الدين بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت بعد ٦٦٦هـ) [٧]

٧٢- المسائل الخمس/ أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ) [٨]

٧٣- المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) [٩]

74 -المستصفى (في أصول الفقه) أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) [١٠]

٧٥- معاني القرآن / يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) [١١]

٧٦- المغني / لابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) [١٢]

---

(١) عالم طبيعي رياضي انجليزي مشهور ، وهو مؤلف كتاب: «الكون الغامض » المترجم إلى اللغة العربية وصاحب الرأي المشهور (أن الكون غامض متغلغل في الغموض والخفاء) انظر الفصل الثاني من البحث ص ٨٤ .

وانظر مناهل العرفان ٢ / ٢٥٣

(٢) مناهل العرفان ١ /٥٤٦

(٣) المصدر السابق ١ /٢٦٨ ، ٢/ ٦٥

(٤) المصدر السابق ١ /٢٧٤

(٥) المصدر السابق ١ / ٤١١

(٦) المصدر السابق ٢ / ٥٨

(٧) المصدر السابق ٢ / ٢٠٦

(٨) المصدر السابق ١ / ٣٤٦

(٩) المصدر السابق ١ / ٤٨١

(١١) المصدر السابق ١ / ١٠٦ ، ٤٢٤ – ٢ / ٦٤

(١) مناهل العرفان ١ / ٣٨٣

(١٢) المصدر السابق ٢ / ٥٨

٧٧- المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) [1]

٧٨- المقاصد في علم الكلام سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ) [2]

٧٩- مقدمة ابن خلدون/ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) [3]

٨٠- مقدمة في أصول التفسير / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) [4]

٨١- الناسخ والمنسوخ/ علي بن محمد بن إبراهيم الخزرجي (ت٦١١هـ) [5]

٨٢- النبأ العظيم / د.محمد عبد الله دراز [6]

٨٣- نيل الأوطار / محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) [7]

٨٤- الوجيز (في فروع الشافعية) أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) [8]

٨٥- نكت الانتصار لنقل القرآن / أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) [9]

٨٦- الهيئة والإسلام / هبة الله الشهرستاني الرافضي [10]

٨٧- المناسبات (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) أبو جعفر أحمد ابن إبراهيم بن الزبير الأندلسي (ت٧٠٨ هـ) [11]

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٧٦

(٢) المصدر السابق ١ / ٦

(٣) المصدر السابق ١ / ٢٧ ، ٣٧٣

(٤) المصدر السابق ١ / ١٠٢ ، ١١٩ ، ٤٩٢

(٥) المصدر السابق ١ / ١٩١

(٦) المصدر السابق ١ / ١٣٥ ، ٢ / ٢١٤ ، ٢٢٢

(٧) المصدر السابق ٢ / ٢٦١

(٨) المصدر السابق ٢ / ٦٥

(٩) المصدر السابق ١/ ٣٧٣

(١٠) المصدر السابق ٢ / ٢٥٦

(١١) المصدر السابق ١ / ٣٤٠

الفصـــــــــــل الثـــانـــــي

أوجه الإعجاز القرآني

يشتمل الفصل الثاني على مبحثين:

المبحث الأول :

بيان أوجه الإعجاز البياني ويشتمل على وجهين:

الوجه الأول :لغة القرآن الكريم وأسلوبه.

الوجه الثاني : طريقة تأليفه.

المبحث الثاني :

بيان أوجه الإعجاز الأخرى وذلك كله من خلال ما عرضه الإمام الزرقاني

المبحث الأول :الوجه الأول : لغته وأسلوبه :

الأسلوب في اللغة :

يطلق الأسلوب في لغة العرب إطلاقات مختلفة :

الأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، يُقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه.

والأسلوب بالضم الفن، يُقال: أخذ فلان في أساليب القول، أي أفانين منه

وفي المعجم الوسيط:

الأسلوب: الطريق، ويُقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته [1]

الأسلوب في الاصطلاح :

أ- الأسلوب: هو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير.

ب- الأسلوب: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته.

ج- الأسلوب: عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقام من المقال.

من معاني الأسلوب في اللغة وتعريفاته في الاصطلاح أصل إلى تعريف للأسلوب فأقول: الأسلوب هو: فن العرض والتأثير والإقناع [2]

معنى أسلوب القرآن الكريم :

---

(1) (التدرج في دعوة النبي) لإبراهيم بن عبد الله المطلق طبع ونشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ عدد الأجزاء: ١ /٢٣ وابن منظور، لسان العرب، مادة سلب، ٢ / ١٧٨ .وإبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة سلب، ١ / ٤٤٠ .

(2) (التدرج في دعوة النبي) لإبراهيم بن عبد الله المطلق طبع ونشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – مركز البحوث والدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ عدد الأجزاء: ١ /٢٣ وأحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) ص ٤٤ .ود. فهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص ١٨ .ود. أحمد محمد أبا بطين، المرأة المسلمة المعاصرة، ص ٥٢٣ .

أسلوب القرآن الكريم هو : طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به ، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به

ويتعرض الإمام الزرقاني لإثبات أن الأسلوب غير المفردات والتراكيب فيقول :

ولنرجع عوداًعلى بدء إلى أسلوب القرآن الكريم ولنذكر شيئا من خصائص أسلوب القرآن الكريم ومزاياه التي انفرد بها ، وكانت هي السر في إعجازه اللغوي أو البلاغي أو الأسلوبي . [1]

خصائص أسلوب القرآن الكريم :

انفرد القرآن الكريم بطريقة سويِّة في تأدية المعاني وإبرازها في قوالب لغوية لا تنافُرَ بين ألفاظها ولا بين حروفها.

إنها طريقة مستقيمة لا عوج فيها، ولا تناقض ولا اختلاف ، تسلك بالناس مسالك الهدى من غير تكلُّف ولا اعتساف ، وتأخذ بتلابيب عقولهم إلى التأمُّل والنظر في الحجج الساطعة التي يأتي بها الواقع المشاهَد، بحيث لا يسع أحد إنكاره أو المراء فيه، إلّا من سفه نفسه، وألغى عقله، وتخلى عن فطرته التي فطره الله عليها.

فأسلوب القرآن الكريم في الإقناع ممتِع، يملك على المؤمنين أفئدتهم، فتلين وتخشع من خشية الله، وتستنير بنور الإيمان الذي يزداد كلما تُلِيَت آياته بتدبُّر وتبصُّر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن ٧٢/١،٢.

ولهذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية، وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية، وسوانحه العقلية، وتأثيره الخاص في النفوس السوية، وفي النفوس الجامحة أيضًا.

وله جمال يعرف ولا يوصف، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنهه العقول، أو تعبِّر عنه ألسنة المتكلِّمين أو أقلام الكاتبين.

ولكن لا بُدَّ أن ندلي بدلونا المتواضع مع أولئك الذين سبقونا إلى الحديث المستفيض عن هذه الخصائص والسمات، واللطائف والسوانح، فنتكلم عنها من خلال

---

[1] الكتاب: مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ج٢/٣٠٣، ٣٠٤

كلامهم، ونشهد معهم بما شهدوا به على طلاوة أسلوب القرآن وجلاله، بعد أن ذقنا شيئًا من حلاوة ألفاظه، وعرفنا شيئًا عن سلامة منطقة، وبراعة تعبيره، ودقة تصويره، وروعة بيانه.

وينبغي أن نقرِّرَ بادئ ذي بدء أن خصائص القرآن التي تميَّزَ بها عن غيره من الكتب السماوية بوجه خاص، وعن كلام الناس بوجه عام، فجعلته معجزًا في بيانه وتشريعه. قد أفاض في ذكرها الأدباء والبلغاء من أصحاب الملكات الفريدة، والمواهب الفذة، فكانوا بين مقلٍّ في سردها ومكثِرٍ، ولكن لم يقل واحد منهم إنه قد أحاط بما لديه خبرًا، بل إنهم جميعًا لم يقدموا لنا من هذه الخصائص إلا قطرة من بحر، فلم يزيدوا على أن قرَّبوا لنا البعيد بِضَرْبٍ من التمثيل بغية الإيضاح والتبيين.

ويبقى القرآن أبدًا هو الكتاب الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تبلى جدته، ولا يمله قارئوه ولا سامعوه.

ونحن إذا سمحنا لأنفسنا أن نتكلَّم عن بعض هذه الخصائص القرآنية، فإنما نذكر على وجه التمثيل والتقريب أيضًا، وما لا يدرك كله لا يترك أقله.

الخاصة الأولى:

مسحة القرآن الكريم اللفظية ، فإنها مسحة خلابة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي .

١- ونريد بنظام القرآن الصوتي ، اتساق القرآن الكريم وائتلافه في حركاته وسكناتـــه ومداته وغناته ، واتصالاته وسكناته ، اتساقا عجيباً ، وائتلافاً رائعاً ، يسترعي الأسماع ويستوي النفوس ، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور، وبيان ذلك أن من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الكريم الصوتية ، يشعر من نفسه ولو كان أعجمياً لا يعرف العربية ، بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب ، يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترانيم الشعر [1]، لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها ، والطبع أن يمجها ، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالباً وإن طالت على نمط يورث سامعه السأم والملل ، بينما سامع لحن القرآن الكريم لا يسأم ولا يمل؛لأنه يتنقل فيه دائما بين ألحان متنوعة ، وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة .

([1]) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للإمام محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ٣١٠/٢

وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي ، هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن الكريم حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن الكريم شعر ، لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة ، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة ، لم يعرفوا شيئا قريباً منها إلا في الشعر ، ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا حتى قال قائلهم –وهوالوليد بن المغيرة [1]: وما هو بالشعرمعللاً ذلك بأنه ليـــس على أعاريض الشعر في رجزه [2] ولا في قصيده ، بيد أنه تورط في خطأ

أفحش [3]من هذا الخطأ ، حين زعم في ظلام العناء والحيرة أنه سحر ؛لأنه أخذ من النثر جلاله وروعته ، ومن النظم جماله ومتعته ،ووقف منهما في نقطة وسط خارقة لحدود العادة البشرية ، بين إطلاق النثر وإرساله ، وتقييد الشعر وأوزانه .

ولو أنصف هؤلاء لعلموا أنه كلام منثور لكنه معجز ليس كمثله كلام ؛ لأنه صادر من متكلم قادر ليس كمثله شيء .

"فالجديد في لغة القرآن أنه من كل شأن يتناوله من شئون القول يتخيَّر له أشرف المواد ، وأمسها رحمًا بالمعنى المرَاد ، وأجمعها للشوارد ، وأقبلها للامتزاج ، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها ، وهي أحق به ؛ بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة وصورته الكاملة ، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره

(١) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبوعبد شمس من قضـاة العـرب في الجاهليـة ومـن زعمـاء قـريش وكان عدلها ، وكان ممن حرم الخمر على نفسه وعياله وهومن أشـار علـى قـريش أن تتحـد كلمتـهم في (محمـد) بـأن يقولوا إنه ساحر لأنه فرق بين المرء وزوجه وولده وهو والد خالد بن الوليد (الأعلام) للزريكلي ج ٨ /١٢٢

(٢) العَرُوضُ: مِيزَانُ الشِّعْرِ، كَمَا فِي الصّحاح، سُمِّيَ بِهِ لأَنَّهُ بِهِ يَظْهَـرُ الْمُتَّـزِنُ مِـنَ الْمُنْكَسِـر عِنْـدَ الْمُعَارَضَـةِ بِهَـا.تـاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسـيني، أبـو الفـيض، الملقّـب بمرتضـى، الزَّبيـدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية باب عرض ج ١٨ /٣٧٩

– و(الرَّجَزُ) بِفَتْحَتَيْنِ ضَرْبٌ مِنَ الشِّعْرِ (رَجَزَ الرَّاجِزُ) مِنْ بَابِ نَصَرَ وَ (ارْتَجَـزَ) أَيْضًـا. مختـار الصـحاح المؤلـف: زيـن الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الـرازي (المتـوفى: ٦٦٦هـ) المحقـق: يوسـف الشـيخ محمـد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعـة: الخامسـة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م عـدد الأجـزاء: ١ باب رجز ١ /١١٨

(٣) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للإمام محمد عبـد العظـيم الزُّرْقـاني ٢/٣١٠ – ودراسـات في علـوم القـرآن المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتـوفى: ١٤٢٦هـ) الناشـر: دار المنـار الطبعـة: الثانيـة ١٤١٩هـ–١٩٩٩م عـدد الأجزاء: ١ص٣٢٧

المكين ، لا يومًا أو بعض يوم ، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلا ، ولا الساكن يبغي عن منزله حِولا ، وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان ، أسلوب عجب ، ومنهج من الحديث فذٌّ مبتَكَر، كأن ما سواه" (١)وما هو بالشعر ولا بالسحر كما يدعون؛ لأن الشعر معروف لهم بتقفيته ووزنه وقانونه ورسمه والقرآن الكريم ليس منه ؛ ولأن السحر محاولات خبيثة لا تصدر إلا من نفس خبيثة ، ولقد علمت قريش أكثر من غيرهم طهارة النفس المحمدية وسموها ونبلها ، القرآن الكريم كله ما هو إلا دعوة طيبة لأهداف طيبة ، لا محل فيها إلى خبث ورجس بل هي تحارب السحر وخبثه ورجسه قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ البقرة ٢/ ١٠٢ .

لقد قال أبو جهل (٢) للوليد بن المغيرة قل في هذا القرآن قولاً

يبلغ قومك أنك منكر له وكاره ، فقال الوليد: وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم من رجل أعلم مني بالشعر لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا ، والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمنير أعلاه ، مشرق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته . قال أبو جهل للوليد : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، فقال الوليد : دعني أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثره عن غيره ، وفي ذلك نزل قوله تعالـــى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآَيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَوَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَثُمَّ نَظَرَثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ المدثر٧٤ /١١: ٢٥.

فانظر إلى الرجل حين أرسل نفسه على سجيتها العربية ، وبديهتها الفطرية كيف أنصف في حكمه حين تجرد ساعة من عناده وكفره ، وقال والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا إلى أن قال وإنه ليحطم ما تحته ، ثم انظر إلى الرجل حين غلبت عليه شقوته عاوده عناده وتعصبه كيف قاوم فطرته وأكره نفسه على مخالفة شعوره (٣).

---

(١) بتصرف يسير من كتاب "النبأ العظيم" للشيخ محمد عبد الله دراز ص٨٥–٨٧.

(٢) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي أشد الناس عـداوة للـنبي صـلى الله عليـه وسـلم في صـدر الإسـلام وأحـد سادات قريش وأبطالها ودهاتها أدرك الإسلام وكان يقال له أبو الحكم فدعاه المسـلمون أبـا جهـل واسـتمر علـى عنـاده يثير الناس على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى كانت وقعة بـدر الكـبرى فشـهدها مـع المشـركين فكـان مـن قتلاها وذلك في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ (الأعلام) للزريكلي ج ٥ /٨٧ .

(٣) انظر مناهل العرفان للزر قاني ٢ /٣١٢

٢- ونريد بجمال القرآن الكريم اللغوي تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها في رصف حروفه وترتيب كلماته ، ترتيبا دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم وبيان ذلك أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن الكريم خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات هذا ينقر وذاك يصفر ، وهذا يخفي وذاك يظهر ، وهذا يهمس وذاك يجهر ،ومن هنا يتجلى لك جمال لغة القرآن الكريم حين خرج إلى الناس في هذه المجموعة المختلفة المؤتلفة ، الجامعة بين اللين والشدة ، والخشونة والرقة ، والجهر والخفية ، على وجه دقيق محكم ، وعلمت كذلك أن هذا القرآن ليس من عند بشر، ولكنهم جحدوا ذلك حسدًا من عند أنفسهم، وتعاليًا على الحقِّ ، واستكبارًا في الأرض بغير حق.

قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾الأنعام ٣٣/٦.

وقال سبحانه: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل ١٤/٢٧.

ونخلص من هذا الذي ذكرناه آنفًا إلى أن اللفظ الذي انتقاه الله من أفصح لغات العرب يمتاز عن غيره من الألفاظ السائدة في كلامهم

بثلاث سماتٍ رئيسية : [١]

الأولى : جمال وقعه في السمع.

الثانية : انسجامه الكامل في المعنى.

الثالثة : اتساع دلالته لما لا تتسع له عادة دلالات الألفاظ الأخرى.

وقد نجد هذه السمات الثلاثة في بعض الأساليب الأدبية، ولكنها لا تجتمع كلها في أسلوب أديب.

ولو اجتمعت لا تطَّرد في جميع كلامه، بل لا بُدَّ أن يشذَّ لفظ عن دائرة الفصاحة، أو يتنافر مع غيره في التركيب ، أو يقصِّر عن أداء المعنى المراد إبرازه ، أو لا يكون له من الجمال ما يثير الإعجاب، أو يبعث في النفوس الرغبة الملِّحة في القراءة أو في السماع.

---

(١) دراسات في علوم القرآن المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م عدد الأجزاء:١- ج٣٣١/١

أما القرآن الكريم فإنه في الذروة العليا فصاحة وبلاغة وبيانًا، لا قدرة لأحد مهما علا قدره في البلاغة والأدب أن يباريه أو يجاريه، أو يقترح فيه إبدال كلمة بكلمة، أو حذف كلمة أو زيادة كلمة، أو تقديم واحدة وتأخير أخرى، مع أنه لم يغلق دونهم أبواب المعارضة، بل فتحها لهم على مصاريعها، ودعاهم إليها أفرادًا وجماعات، وتحدَّاهم بأقصرسورة من سوره، فعجزوا جميعًا عن الإتيان بمثل آية من آياته، فأدركوا من خلال عجزهم أنه ليس من كلام البشر، بل هو من كلام خالق القوى والقدر.

"ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي وذاك النظام الصوتي ، أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية ، وكانا سوراً منيعاً لحفظ القرآن الكريم من ناحية أخرى ، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي ، أن يسترعي الأسماع ، ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان ، إلى هذا القرآن الكريم .

وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم ، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم ، فلا يجرؤ أحد على تغييره أو تبديله مصداقا لقوله سبحانه

وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]الحجر ١٥/ ٩"

الخاصة الثانية : إرضاؤه العامة والخاصة

بمعنى أن الجميع يحسون حلاوته ويشعرون بجلاله [2]

" ومعنى هذا أن القرآن الكريم إذا قرئ على العامة ، أحسوا جلاله ، وذاقوا حلاوته ، وكذلك الخاصة إذا قرءوه أو قرئ عليهم ، أحسوا جلاله ومهابته وذاقوا حلاوته ، وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة" [3]

وهاتان غايتان تقصر عنهما همم الناس ، فمَن يخاطب منهم الأذكياء

بالواضح المكشوف نزل بهم مستوى لا يرضونه.

ومَن يخاطب العامة باللمحة والإشارة حملهم على ما لا يطيقون.

فلا بدَّ من التفرقة في الخطاب بين المقامين، ولا يوجد في الناس مَن يُحسن هذا كائناً مَن كان، لا تجد ذلك على أتمه إلا في القرآن الكريم

([1]) مناهل العرفان للإمام الزرقاني ٢ /٣١٣

([2]) سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) المؤلف: محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة الناشر: دار التراث العربي – القاهرة الطبعة: الثالثة – ١٤١٨ هـ ج ١ /٣٣١

([3]) انظر مناهل العرفان للزر قاني ٢ /٣١٤ ، ٣١٥

هو متعة العامة ونزهة الخاصة ، ميسَّر لكل مَن أراد.

الخاصة الثالثة :

إرضاؤه العقل والعاطفة معاً فالقرآن يخاطب العقل والقلب في آن واحد ويجمع الحق والجمال معاً. [1]

ففى النفس قوتان، قوة تفكير وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير

حاجة الأخرى، ولا تجد بليغاً يفي لك بحاجة القوتين في عبارة واحدة، ولكنك تجد ذلك في القرآن الحكيم، في أجمل صورة وأوضح بيان،

ويتضح ذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الموتى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِير ﴾ فصلت ٤١ / ٣٩ .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيب وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ ق٥٠ /٦:١١

" تأمل في الأسلوب البارع ، الذي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل ، إذ قال تعالى في الآية الأولى ﴿ إن الذي أحياها لمحيي الموتى ﴾ وفي الآيات الأخيرة

﴿ كذلك الخروج ﴾ فانظر إلى هذا الجمال الساحر و الإعجاز الباهر الذي يخاطب عقل الإنسان وقلبه معاً بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات .

([1]) سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) المؤلف: محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة الناشر: دار التراث العربي – القاهرة الطبعة: الثالثة – ١٤١٨ هـ ج ١ /٣٣١

ويستحيل هذا في كلام البشر. لأن كلامهم إن وفى بحق العقل بخس العاطفة حقها ، وإن وفى بحق العاطفة بخس العقل حقه ، وبمقدار ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر" [(١)]

الخاصة الرابعة :

جودة سبك القرآن الكريم وإحكام سرده

ومعنى هذا أن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره ، مبلغا لا يدانيه فيه أي كلام آخر ، مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتنانه في الموضوع الواحد ، فبين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق ، ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات ، وبين سور القرآن من التناسب ما جعله كتابا سوي الخلق حسن السمت ، ﴿ قرآنا عربياً غير ذي عوج ﴾ الزمر٣٩ / ٢٨ ، " فكأنه هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار وتلعب بالعقول والأفكار "[(٢)] ، على حين أنها مؤلفة من حلقات ، لكل حلقة وضع خاص من السبيكة لكن على وجه من جودة السبك وإحكام السرد ، جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرقة ، وحدة بديعة متآلفة ، تريك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء من غير تفكك ولا تخاذل ، ولنضرب على سبيل المثال سورة الفاتحة ، تأمل كيف تترابط وتتناسق في حسن ، تخلص من معنى إلى معنى ، ومن مقصد الى مقصد ، افتتحت متوجة ﴿ باسم الله ﴾ وذلك بإضافة الاسم إلى لفظ الجلالة الذي هو إسم الذات الجامع لصفات الكمال ، ويوصف لفظ الجلالة بأنه ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ثم انتقل الكلام إلى إعلان أنه تعالى مستحق للمحامد كلها ، ثم انتقل بالكلام إلى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلة ثلاثة جرت على اسم الجلالة مجرى الأوصاف في مقام حمده ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ثم انتقل الكلام إلى إعلان ﴿ الرحمن الرحيم ،مالك يوم الدين﴾ وحدانيته ، في ألوهيته وربوبيته ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ مادام أنه هو المعين وحده ومستحق المحامد كلها وحده. ثم انتقل الكلام في براعة إلى بيان المطمح الأعلى للإنسان ، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم في قوله تعالى ﴿ اهدنا

---

(١) بتصريف يسير من كتاب(مناهل العرفان) ج٢ /٣١٥ ط المطبعة الفنية بالقاهرة .

(٢) سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) المؤلف: محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة الناشر: دار التراث العربي – القاهرة الطبعة: الثالثة – ١٤١٨ هـ ج١/١٨٤

الصراط المستقيم ﴾ ثم انتقل الكلام إلى تقسيم الخلق بالنسبة إلى هذه الهداية ثلاثة أقسام ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وإذا الناس أمام عينيك بين منعم عليه بمعرفة الحق واتباعه ، ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به ، وضال رضي أن يعيش عيشه الأنعام ؛ في متاهة الجهالة والحيرة والضلال .

ثم تنظر في سورة البقرة ، فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المفصل بالمجمل ، فالهداية إلى الصراط المستقيم صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، تشرحها سورة البقرة وما وليها من سور القرآن الكريم حيث جاءتنا بتفاصيل هذه الهداية ، في بيان كامل ، وعرض شامل. [1]

الخاصة الخامسة:

براعته في تصريف القول ، ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ شتى وطرق مختلفة ، وكلها رائعة فائقة تأخذ بالألباب وتذهب بالعقول وتنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء.

فهو ينتقل بك بين الأساليب الإنشائية والخبرية في المعنى المراد إبرازه، ويسلك مسالك شتَّى في التعبير والتصوير والترغيب والترهيب، من غير أن تشعر بفجوة بين أسلوب وأسلوب، أو تنافر بين كلمة وأخرى، ومن غير أن تشعر بتغيير يذكر بين الجوِّ العام للنص.

وهذا ضَرْبٌ فريد في الإعجاز البياني، جدَّ في طلبه رجال لم يلههم عنه تجارة ولا بيع، فنقَّبوا عن لطائفه، ودقائقه ونفحاته وإشراقاته، فخرجوا بعد التحري وطول التأمُّل والنظر بزاد غير قليل، زاد في إيمانهم بعظمة هذا الكتاب وقدرته على التحدي، وتأبيه على المعارضة والمطاولة، في أي وجه من وجوه الجمال الذي تحلَّى به في كل جزئية من جزئياته.

ولا نريد أن نتوسَّع هنا في ذكر مثال لكل أسلوب من أساليبه، فهذا يحتاج إلى مجلدات، ولكن نكتفي بذكر أسلوبين من هذه الأساليب، وهما: أسلوبا الأمر والنهي: ومن خلالهما نستطيع أن ننطلق باحثين بين دفتي المصحف عن غيرهما من الأساليب.

([1]) مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢-٢/٣١٥

فلنأخذ أولًا تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين، فإنه قد ورد بأساليب مختلفة، كل أسلوب منها في موقعه سديد:

١- فقد يرد الأمر صريحًا بمادَّته المستعمَلة فيه، وهو لفظ "افعل" مثل قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الأعراف٧/٣١

٢- وقد يرد بلفظ فيه حروف الأمر نفسها، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ النساء٤/٥٨

٣- وأحيانًا يدل على الأمر بصيغة "كتب"، مثل قوله تعالى:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ البقرة٢ /١٧٨

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ البقرة٢/ ١٨٣ .

٤- والإخبار بكونه على الناس، نحو قوله -جل شأنه:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران٣/٩٧

٥- والإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه نحو قوله تعالى:

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة٢ /٢٢٨.

أي: مطلوب منهن أن يتربصن.

وقد جاء هذا الأمر بصيغة الخبر مبالغة في طلب الحرص على فعله، حتى لكأنه واقع منهن بمقتضى حيائهن الذي فُطِرْنَ عليه، فإن المطلَّقة من شأنها أن تستحي من تعريض نفسها للأزواج بعد الطلاق، حتى تظل مدة كافية تتأكَّد فيها من براءة رحمها، وتكون لزوجها فرصة في مراجعتها إن كان قد طلقها طلقة بائنة رجعية.

وكذلك الحال في قوله -جل شأنه : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ ﴾ البقرة٢ /٢٣٣ .

فهو أمر لهنَّ بإرضاع أولادهنَّ بوصفهنَّ والدات، فلا ينبغي أن يحملهن طلاقهن على ترك إرضاع أولادهن نكاية في أزواجهن.

٦- والإخبار عن الفعل بأنه خير، نحو قوله تعالى:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾البقرة٢ /٢٢٠ .

٧- ووصف الفعل بالفرضية، نحو قوله تعالى:

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ الأحزاب٣٣/ ٥٠ .

أي: من بذل المهور والنفقة، والمعاشرة بالمعروف.

٨- وترتيب الوعد والثواب على الفعل، نحو قوله سبحانه:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد٥٧ /١١

٩- وترتيب الفعل على شرط قبله، نحو قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ البقرة٢/١٩٦

١٠- وإيقاع الفعل منفيًّا معطوفًا عقب استفهام، نحو قوله -جل شأنه:

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ النحل١٦/١٧.أي: تذكَّروا.

١١- وترتيب وصف شنيع على ترك الفعل، نحو قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة٥ /٤٤.

هذه هي أهم صيغ الأمر، ويقابله النهي، وله صيغ كثيرة منها:

١- الصيغة المألوفة الصريحة بأداة النهي المعروفة، مثل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ النساء: ٤/٢٩

٢ – الصيغة الصريحة التي تفيد التحريم بلفظه، مثل قوله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ المائدة:٥/٣

٣- نفي الحلِّ عنه، نحو قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ النساء٤ /١٩

٤- ووصفه بأنه شرٌّ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ آل عمران٣/١٨٠

٥- وذكر الفعل مقرونًا بالوعيد، نحو قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة٩/٣٤ .

٦- وذكر الفعل منسوبًا إليه الإثم، نحو قوله جل شأنه:

﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ البقرة٢/١٨١.

هذه نماذج من الأوامر والنواهي جاءت كما رأيت على أساليب متعددة، وفق المقام الذي سيقت له والجوّ الذي سيقت فيه.

"وهكذا تجد القرآن يفتن في أداء المعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة، بين إنشاء وإخبار، وإظهار وإضمار، وتكلم وغيبة، وخطاب ومضيّ،

وحضور واستقبال ، وإسمية وفعلية ، واستفهام وامتنان ووصف ، ووعد ووعيد إلى غير ذلك.

ومن عجب أنه في تحويله الكلام من نمط إلى نمط ، كثيرًا ما تجده سريعًا لا يجارى في سرعته ، ثم هو على هذه السرعة الخارقة لا يمشي مكبًّا على وجهه، مضطربًا أو متعثرًا ، بل هو محتفظ دائمًا بمكانته العليا من البلاغة يمشي سويًا على صراط مستقيم .

واعلم أن تصريف القول في القرآن الكريم على هذا النحو كان فنًّا من فنون إعجازه الأسلوبي كما ترى ، وكان في الوقت نفسه مِنَّة يمنها الله على الناس، ليستفيدوا عن طريقها كثرة النظر في القرآن الكريم ، الإقبال عليه قراءة وسماعًا وتدبُّرًا وعملا، وأنه لا عذر معها لمن أهمل هذه النعمة وسفَّه نفسه ، اقرأ إن شئت قوله سبحانه في سورة الإسراء:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ١٧ /٨٩.

وقوله سبحانه في سورة الكهف : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ١٨/٥٤

وقوله سبحانه في سورة الرعد:

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَال﴾١٣ /١٧[1]

الخاصة السادسة:

جمع القرآن الكريم بين الإجمال والبيان مع أنهما غايتان متباينتان لا يجتمعان في كلام واحد للناس ، بل كلامهم إما مجمل وإما مبين [2]

([1]) بتصرف يسير من "مناهل العرفان" ج٢ ص٣٢٢، ٣٢٣

(٢) المجمَل هو المبهَم الذي لا يتَّضِحُ المراد منه إلّا بقرينة شرعية تزيل إبهامه وتوضِّحُ المراد منه – والمبيِّن هو: ما يفرِّق بين الشيء وما يشاكله، فهو دلالة على المعنى المراد على سبيل البَسْطِ والتفصيل.(دراسات في علوم القرآن) المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م عدد الأجزاء: ١

لأن الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بيان ، وإما خفية تحتاج إلى بيان ، ولكن القرآن الكريم وحده هو الذي انخرقت له العادة فتسمع الجملة منه وإذا هي بينة مجملة في آن واحد ، لهذا السر وسع كتاب الله تعالى جميع أصحاب المذاهب المختلفة والمشارب المتباينة ،ووجدوا شفاء أنفسهم وعقولهم فيه ، وأخذت الأجيال المتعاقبة من مدده الفياض ما جعلهم يجتمعون عليه ويدينون به ، ولا كذلك البشر في كلامهم فإنهم إذا قصدوا إلى توضيح أغراضهم ، ضاقت ألفاظهم ولم تتسع للإستباط والتأويل ، والأمر في هذه الخاصة ظاهر غني بظهوره عن التمثيل وحسبك أن ترجع إلى كتب التفسير ففيها من ذلك الشيء الكثير .

الخاصة السابعة:

قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى :

هذه خاصة لم تُعرف لغير القرآن ، فإن أبلغ البلغاء من الناس لا يستطيع أن يأتى بكلام لفظه قليل ، ومعناه وافٍ وهو إن اتفق له في الموضع الواحد والموضعين ، فلا يتفق له في جملة كلام ، شعراً أو نثراً ، وما هو بحاصل إلا على كلام نسبى غير مطرد ، بحسب ما أوتِيَ من إلهام وتوفيق ، فأبلغ البلغاء إذا حفل باللفظ أضر بالمعنى ، وإذا حفل بالمعنى

أضر باللفظ ، نهايتان مَن حاول أن يجمع بينهما وقف منهما موقف الزوج بين ضرتين ، لا يستطيع أن يعدل بينهما دون ميل إلى إحداهما.

خذ من القرآن الكريم مقداراً من الكلام ثم قارنه بما يساويه من كلام البلغاء تجد عجباً ، ثم انظر أي الكلامين تستطيع أن تتناوله بالتعديل أو التبديل دون أن تخل بمعناه ؟

إنك إذا حاولت هذه المحاولة فستنتهي إلى هذه الحقيقة التي أعلنها ابن عطية [١] وهو يتحدث عن القرآن الكريم إذ يقول : (لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد) [٢]

([١]) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي حدث عن أبيه وعن أبي علي النسائي وكان فقيها بارعا عارفا بالأحكام والحديث والتفسيروله التفسير المشهور (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) توفي سنة ٥٤٦ هـ (طبقات المفسرين) ص ١٧٥ ، ١٧٦ أحمد بن محمد الأدنروي تحقيق سليمان بن صالح الخزي الناشر / مكتبة العلوم والحكم المدينةالمنورة .

([2]) (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية الأندلسي ت: ٥٤٢ هـ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ج١ / ٥٢

" وَمِنْ فَصَاحَةِ القرآن أن الله تَعَالَى جَلَّ ذِكْرِهِ، ذَكَرَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ أَمْرَيْنِ، وَنَهْيَيْنِ، وَخَبَرَيْنِ، وَبِشَارَتَيْنِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ القصص ٧/٢٨

وَكَذَلِكَ فَاتِحَةِ سُورَةِ الْمَائِدَةِ : أَمْرٌ بِالْوَفَاءِ وَنَهْيٌ عَنِ النَّكْثِ ، وَحَلَّلَ تَحْلِيلا عَامًا، ثُمَّ اسْتَثْنَى اسْتِثْنَاءً بَعْدَ اسْتِثْنَاءٍ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ حِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى" [1]

الوجه الثاني من الإعجاز البياني للقرآن الكريم :

طريقة تأليفه :

وبيان ذلك أنه قد رُتِّبَتْ آياته وسوره ترتيبًا غاية في الائتلاف والتناسق، مع أنه نزل منجَّمًا في نحو ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع والحوادث، ومقتضيات الأحوال. حتى إنَّ الناظر فيه دون أن يعلم بتنجيم نزوله لا يخطر على باله أنه نزل منجَّمًا، وحتى إنك مهما أمعنت النظر وبحثت لا تستطيع أن تجد فرقًا بين السور التي نزلت جملة، والسور التي نزلت منجَّمَة ؛ من حيث إحكام الربط في كلٍّ منهما، ومن حيث نظام المبنى ودقة المعنى، وتمام الوحدة الفنية([2]) ،فتستمع إلى الآية منه فإذا هي بينة واضحة الدلالة مجملة في آن واحد وهذا لا تراه أبدا ولا تلمسه في أي كتاب سوى القرآن الكريم هذا الكتاب المحكم الرصين ([3]) الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ثم من تمام هذا الكتاب أخيراً أنه اشتمل على وحدة فنية تربط بين بداياته ونهاياته وأوساطه وسائر أجزائه ،إذن فالقرآن الكريم تنطق طريقة تأليفه ؛بأنه

---

(1) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء : ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات) ج١/٧٦

(2)بتصرف يسير من كتاب.(دراسات في علوم القرآن) المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م عدد الأجزاء: ١ ج ١/ ٣٥٢

(3) الرَّصِينُ: (الحَفِيُّ بحاجَةِ صاحِبِه.(و) رَجُلٌ رَصِينُ الجَوْفِ: هُوَ (المُوْجَعُ المُتَأَلِّمُ) (وساعِدٌ مَرْصونٌ) : أَي (مَوْسومٌ. (و) المِرْصَنُ، (كمِنْبَرٍ: حَديدَةٌ تُكْوَى بهَا الدَّوابُّ رجُلٌ رَصِينٌ، كرَزِينٍ وَله رأْيٌ رَصِينٌ. ورَصَنْتُ الشيءَ: أَحْكَمْتُه، فَهُوَ مَرْصونٌ. وأُرْصِنَ البناءُ فَهُوَ مُرْصَنٌ.ودِرْعٌ رَصِينَةٌ: حَصِينَةٌ، . تاج العروس من جواهر القامو المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية باب رصن ج ٣٥/ ٩٧س المؤلف: محمّد بن محمّد ٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية باب رصن ج ٣٥/ ٩٧

لايمكن أن يكون صادراً إلا عن مليك مقتدريعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يوسف ١٢/ ٢١

مناقشة أوجه الإعجاز البياني عند الإمام الزرقاني

من خلال كتابات السابقين واللاحقين

أولاً : السابقون

إذا كان القرآن عربياً جارياً على نمط أساليب العرب في منطقهم ففيم كان الإعجاز ؟ وبم يعلل هذا الإعجاز ؟

لقد كان للمتكلمين السابقين فضل السبق في بحث هذه النقطة فقالت المعتزلة– إلا النظام وهشام الفوطي وعباد بن سليمان – إن تأليف القرآن الكريم ونظمه معجز محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم وأنه علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ونستعرض الآن أراء بعض العباقرة في البيان العربي :

١ رأي النظـــــام : [١]

إن الآية والأعجوبة في القرآن الكريم ما فيه من الإخبار عن الغيوب؛ فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم أن يحدثوا فيه [٢]

وقد ظل باحثوا الإعجاز بعد يدورون حول هذين الرأيين ، هل إعجاز القرآن الكريم في النظم أو الصرفة ؟ أم هو معجز بهما معاً ؟

---

(١) شيخ المعتزلة صاحب التصانيف أبو إسحق إبراهيم بن سيارمولى آل الحـــارث بـــن عبـــاد الضـــبعي البصـــري المـــتكلم شيخ الجاحظ له تصانيف جمة منها كتاب (الطفرة) و (الوعيد) ، (والنبوة) وغيرها وقد كفـــره جماعـــة وقـــال عنـــه آخـــرون إن النظام لم يكن ممن نفعه العلم والفهم ومات في خلافة المعتصم سنة ٢٣١ هـــ سير أعلام النبلاء:

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة محمـــد علـــي عبـــد الـــرحمن المعروفـــة ببنـــت الشـــاطئ (المتـــوفى: ١٤١٩هــ) الناشر: دار المعارف الطبعة: الثالثة عدد الأجزاء: ١ج١/٩٢

رأي الجاحظ : [1]

يرى أن القرآن الكريم معجز بنظمه وقد تحداهم بهذا النظم المعجز ولكن الله تعالى رفع استطاعة الإتيان بمثله من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن معارضته بعد أن تحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم بنظمه ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب والنساء وأشباه النساء ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ولكثر القيل والقال ثم يقول بعد ذلك :

ففي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به .

للإعجاز وجهين عند الجاحظ :

أحدهما : أن القرآن الكريم معجز بنظمه وتأليفه.

الثاني : أن الله صرف الناس عن أن يعارضوا هذا الإعجاز القرآني ومن ثم رأيناه يرد على النظام ومن تبعه في رأيه في مؤلفه كتاب : (الاحتجاج لتنظيم القرآن) بأن القرآن الكريم ليس معجزاً بنظمه وأن للعرب القدرة على مثل نظم القرآن الكريم لولا صرفة الله [2]

وفرقٌ بين رأي النظام والجاحظ في(الصُرفة) أن النظام يرى قدرة المنشئين على أن ينظموا مثل القرآن الكريم ، والإعجاز ، في صرف الله لهم عن هذا الصنيع .

أما الجاحظ فيرى أن القرآن الكريم يصرف أطماع البلغاء عن الإتيان بمثله ليُيَأسهم من استواء كلامهم على مرتبة عالية لا تتخلف من الجودة كما هو شأن الأسلوب القرآني الذي يجري جميعه على نمط واحد في الجودة المعجزة ، القاطعة للأطماع .

---

(1) العلامة المتبحر ذو الفنون أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي صاحب التصانيف الكثيرة أخذ عن النظام وثمامة بن أشرس وروى عنه أبو العيناء توفي سنة ٢٥٥هـ الأعلام للزريكلي ج ٥ /٧٣،/٧٤.

(٢) رسائل الجاحظ تحقيق / عبد السلام هارون عدد ٣ أجزاء ، علي هامش الجزء الثاني من (الكامل للمبرد) ص ١٢١ ، ١٢٢

٣ رأي الباقلَاني :[1]

الذي وجد الملاحدة في عصره يعدلون القرآن الكريم ببعض الأشعار ويوازنون بينه وبين غيره من الكلام ولا يرضون بذلك حتى يفضلونه عليه

وقد دفعه هذا الصنيع إلى أن ينفرد بقوله إن الوجه في إعجاز القرآن الكريم أنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم ومباين لأساليب خطابهم ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفى ولهذالا يمكن معارضته ثم يعرض الباقلاني بعد لنقطة عملية في منهج الكشف عن الإعجاز القرآني تلك هي يقول : كيف يوقف على إعجاز القرآن؟ وقد قدر مقدرون أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن الكريم من أصناف البديع وليس كذلك عندنا لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها [2].

والوجوه التي تقول إن الإعجاز القرآني يمكن أن يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه ولكن قد يمكن أن يقال

إن أصناف البديع باب من أبواب البراعة وجنس من أجناس البلاغة وأنه لا ينفك القرآن الكريم عن فن من فنون بلاغتهم ولا وجه من وجوه فصاحتهم .

وقد حاول الباقلاني تجلية رأيه عملياً فعقد المقارنات بين القرآن الكريم وبليغ الكلام شعراً ونثراً والباقلاني من وراء ذلك كله يريد أن يثبت أن القرآن الكريم نمطه من القول لا يوازن بشعر ولا يوازن بنثر لأن مزيته عليهما تلوح لمن كان ببلاغات العرب وأساليب كلامهم عارفاً وإذ خلص من ذلك عمد هو إلى إظهار الجمال في القرآن الكريم فأعطانا صورة مفعمة بالجمال يصف إحساسه وعجزه عن وضع اليد على منابع الجمال القرآني يقول : فأما منهج القرآن الكريم ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر وهو يصارحنا بأن دلالة الإعجاز في بعض الآي أبين وأظهر

([1]) الإمام العلامة أوحد المتكلمين مقدم الأصوليين القاضي أبو بكر محمد بن الخطيب بن محمد جعفر بن قاسم البصري البغدادي ابن الباقلاني صاحب التصانيف وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه سمع أبا بكر أحمد القطيعي وأبا محمدين ماسي وخرج له ابن أبي الفوارس وذكره القاضي عياض في طبقات المالكية فقال هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة حدث عنه أبو ذر الهروي وأبو جعفر السماني وقاضي الموصل من مؤلفاته (إعجاز القرآن) توفي سنة ٣٢٨ هـ سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧ / ١٩٠ – ١٩٣

(٢) (مقدمة أعجاز القرآن) للباقلاني تحقيق / السيد أحمد صقر الناشر / دار المعارف – مصر ، الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٧عدد الأجزاء /١ ص ١٠

والآية أكشف وأبهر ويقول مرة أخرى : نعتقد أن الإعجاز في بعض القرآن الكريم أظهر وفي البعض الآخر أدق وأغمض .[1]

٤رأي الرماني : [2]

قال إن القرآن الكريم معجز ببلاغته ، وحد البلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ، فأعلاها طبقة في الحُسن ، بلاغة القرآن الكريم وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر للمفحِم

فهذا معجز للمفحَم خاصة كما أن ذاك معجز للكافة ، والبلاغة على عشرة أقسام الإعجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان ، ثم راح يعرف تلك الأقسام ويمثل لها من القرآن الكريم وبليغ الكلام وبذلك وضع يدنا على رأيه في وجه الإعجاز ثم بين لنا قيمة هذه البلاغة من القرآن الكريم. [3]

٥ – رأي الخطابي: [4]

قال إن الوجه الأول في الإعجاز القرآني هو الإحاطة الإلهية بأسرار اللغة حتى جاء القرآن الكريم معجزاً لفظاً ومعنى ونظما و يقول أيضا وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبأوضاعها التي هي ظروف المعاني والحواصل لها ولا تدرك أفهماهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التي بها يكون ائتلافها وارتباطها بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن

---

(١) مقدمة إعجاز القرآن للإمام الباقلاني ص ٩٨ ، ص ١٥٦ .

(٢) العلامة أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي أخذ عن الزجاج وابن دريد وأخذ عنه أبو القاسم التنوخي والجوهري وصنف في التفسير واللغة والنحو والكلام وألف في الاعتزال (صنعة الإستدلال) سبع مجلدات وكتاب(الأسماء والصفات) وكتاب الأكوان) وكتاب (المعلوم والمجهول) وله نحو من ١٠٠ مصنف وتوفى سنة ٣٨٤ هـ . سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج ١٦ / ٥٣٤ .

(٣) النكت في إعجاز القرآن "للرماني" طبع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، بتحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف.ص٧٦

(٤) الحافظ اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البُستي الخطابي صاحب التصانيف ولد سنة ٣١٠ هـ وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة ومن أبي العباس الأصم وغيرهم وأخذ الفقه الشافعي من أبي بكر القفال الشاشي حدث عنه أبو حامد الإسفراييني والعلامة أبو عبيد الهروي وغيرهم كثير ألف وصنف كتبا كثيرة منها (شرح السنن) و(شرح الأسماء الحسنى) وتوفي الخطابي في ربيع الآخر سنة ٣٨٨ هـ . سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٧ / ٢٣ – ٢٧

يأتوا بكلام مثله وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل ومعني به قائم ، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن الكريم وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة .

والوجه الثاني في الإعجاز عنده هو ما للقرآن الكريم من أثر نفسي يقول : قلت في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ،فإنك لا تسمع

كلاما غير القرآن الكريم منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ، ما يخلص منه إليه تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب [1] والقلق وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب ويحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها [2] .

٦ – وظفر القرن الخامس برأيين على طرفي نقيض أما الرأي الأول فهو

رأي الأمير ابن سنان الحلبي :[3]

يرى أن للإعجاز القرآني وجهين :

أحدهما : أنه خرق العادة بفصاحته التي وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدورالبشر وهذا القرآن الكريم الفصيح بعضه ــ عنده ــ أوضح من بعض.

ثانيهما: أن وجه الإعجاز صرف العرب عن معارضته مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف. لأنها من جنس فصاحتهم والفصاحة كما فسرها هي أمور جمالية في اللفظ استقاها من كلام العرب[4]

([1]) الوجيب: الخفقان والاضطراب.(الحيوان) للجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـــ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هــ عدد الأجزاء: ٧ ج٥/٤١

– الْوَجِيبُ: تحرُّك الْقَلْبِ تَحْتَ أَبهره واضطرابه(لسان العرب)لابن منظور (المتوفى: ٧١١هـــ)الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هــ عدد الأجزاء: ١٥ج٤/٨٣

([2]) إعجاز القرآن للخطابي ص ٩٢ طبعة دار المعارف ، تحقيق / محمد خلف الله ود/ محمد زغلول سلام .

([3]) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي شاعر أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره له ولاية بقلعة (عزاز) وله كتاب (سر الفصاحة) ط ، وديوان شعر، توفي سنة ٤٦٦هــ الأعلام للزريكلي ٤/ ١٢٢

(٤) سر الفصاحة لعبد الله محمد بن سعيد بن سنان – أبو أحمد الخفاجي الحلبي صـــ١٣،١٤

– وعناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم المؤلف: حسن عبد الفتاح أحمد الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عدد الأجزاء: ١ ج١/٧٠

٧ – عبد القاهر الجرجاني : [1]

وهو علىٍ النقيض من الرأي السابق لابن سنان فعبد القاهر تصور موضع الإعجاز جزءً من ظاهرة أوسع هي طريقة البيان عامة وعالج في كتابه (دلائل الإعجاز) طريقة نظم الكلام وترتيب معانيه وما يعرض لها من تقديم وتأخير وذكر وحذف وفصل ووصل وقصر واختصاص الخ ، وهدفه وراء ذلك صرف الاهتمام إلى جانب المعنى بعد أن جعله ابن سنان ناحية اللفظ ، فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة للمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ، وليس النظم ضم الشيء إلى الشيء- كما رأينا عند ابن سنان ــ بل هو نظم يراعى فيه ترتيب اللفظ وفق ترتيب المعنى في النفس ولذا كان عندهم نظير للنسج والتأليف والصياغة والبناء والتحبير وما أشبه ذلك .

السبيل إذن إلى معرفة الإعجاز القرآني هو السبيل الأدبي ولكن فيم إعجاز القرآن ؟

إن وجه الإعجاز عند الجرجاني في القرآن الكريم في النظم والتأليف .

وما النظم ؟" ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف نهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[2]

هذا إذن هو منهج عبد القاهر الجرجاني في بحث الإعجاز ، منهم قائم أولاً على التربية الفنية تربية الذوق والإحساس والشعور بممارسة النصوص الأدبية ونقدها والتعرف على مواطن القبح والجمال فيها فإذا ما ألف الذوق النقد مارس النص القرآني باحثا عن الجمال فيه في نظمه حيث يكمن سر إعجازه وما النظم إلا معاني النحو التي أِلفت وآخت بين كلماته.

---

(1) شيخ العربية أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن ابن أخت أبي علي الفارسي ألف(إعجاز القرآن) وكتاب(المفتاح) وصنف شرحا هائلا (للإيضاح) و(العمد في التصريف)و(الجمل) غير ذلك وكان شافعيا عالما ذا نسك ودين توفي سنة ٤٧١ هـ (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي / ج١٨ ٤٣٢ ،٤٣٣ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ط مؤسسة الرسالة ببيروت.

(2) كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر ، الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – عدد الأجزاء: ٣ ج١ /٨١

٨- الزمخشري: [١]

يقول الزمخشري عن القرآن الكريم إنه كتاب معجز من جهتين ، من جهة إعجاز نظمه ، ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب .

ويقول مرة ثانية عند قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِل بعلم الله ﴾

هود١١/ ١٤أي أنزل ملتبَسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه [٢]

ثم يقول الزمخشري عن الإعجاز الذي في النظم :

النظم هو أم إعجاز القرآن الكريم ، والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفســـــر.

ويقول عن أسرار الجمال القرآني : وهذه الأسرار والنكت ماأبرزها إلا علم النظم وإلا بقيت محتجبة في أكمامها .

وهو في مسألة النظم يتابع عبد القاهر الجرجاني بل إنه أول من طبق رأي عبد القاهر في إعجاز جمال القرآن الكريم تطبيقا عمليا وعلى نطاق واسع يشمل سور القرآن جميعها ، ولكن حين عرض الزمخشري لنظم القرآن الكريم عرض إليه من ناحية الجمال الحادث عن أحكام ومعاني النحو مما لا يدع سبيلاً للشك في أن الزمخشري علم بما يتأثر في بحثه الإعجاز القرآني بتأثر عبد القاهر وإن كانت بعد للزمخشري المعتزلي شخصيته في البحث الإعجازي وقد ظهر هذا في كلام الزمخشري في نظم القرآن الكريم من خلال التقسيمات البلاغية والبيان والمعاني والبديع .

انبهار الزمخشري بالإعجاز : الزمخشري وإن كان حينا يطرب لجمال البيان القرآني وإعجازه فيحاول الإشارة إلى سره ، فإنه حيناً آخر لا يملك إلا أن يعجب وينبهر بالإعجاز يقول مرة :

---

(١) العلامة كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب (الكشاف) و (المفصل) سمع من نصر بن البطر وغيره وروى عنه أبو طاهر السلفي ولد بزمخشر في خوارزم في رجب سنة ٤٦٧ هـ وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ومات رحمه الله ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ وله (أساس البلاغة) وغيرها كثير (سير أعلام النبلاء) للذهبي ج٢٠ /١٥١- ١٥٥

(٢) (تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للإمام الزمخشري المزود بأربعة كتب بحواشيه رتبه وقام بضبطه وتصحيحه محمد عبد السلام شاهين - ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان - الجزء الثاني ص ٣٦٩

وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حداً يدق عن تفطن العالم ويدل عن تبصره .ويقف الزمخشري عند قوله تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ النمل٢٧ /٨٨ يقف عندها مبهوراً مأخوذاً يقول :

فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحُجزة [١] بعض كأنما أُفرغ إفراغاً واحداً ولأمر ما أعجز القوي وأخرس الشقاشق .[٢]

وقال في الآية الأخرى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أونَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص ٢٨ /٩

ما أحسن النظم في هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم . [٣]

ويقول في قوله تعالى : ﴿ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً ﴾ الفرقان٢٥ /٢١ هذه الجملة حُسْن استئنافها غاية .[٤]

ويقول في آية أخرى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ الرعد ٣٣/١٣ وهذا الاحتجاج وأساليبه العَجيبة التي وَرَد عليها منادٍ على نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين. [٥]

---

(١) الحجزة) مَوضِع شدّ الْإِزَار من الْوسط وَمَوْضِع التكة من السَّرَاوِيل وَيُقَال أَخذ بحجزته التجأ إِلَيْهِ واستعان بِهِ وَرجل طيب الحجزة عفيف وَرجل شَدِيد الحجزة صبور على الشدَّة والجهد وَهَذَا كَلَام آخذ بعضه بحجز بعض متناسق متماسك (ج) حجز المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة ج١ /١٥٨

(٢) جمع الشقشقة وهي شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه إذا هاج وهدر. (لسان العرب) لابن منظور – الناشر/ دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة سنة١٤١٤هـ. الكشاف الزمخشري ج ٣ /٣٧٤

(٣) المرتاض: المنجمع عن الناس والمتوجه إلى الحق المتدرب . (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي ج١٤ /٣٩٥ – الناشر دار الهداية . الكشاف ج ٣ /٣٨٢

(٤) الكشاف ج ٣ /٢٦٥

(٥) الكشاف للزمخشري ج ٣ /٥١١

آراء بعض العلماء اللاحقين في قضية الإعجاز البياني

رأي الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي [1]

على سبيل المثال لا الحصر، حيث ألف كتابا وأسماه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)

وضح فيه أن سرالإعجاز البياني كائن في النظم وأن جهات النظم ثلاث في الحروف والجمل والكلمات

فها هنا ثلاثة فصول تعريفها فيما يلي :

أولا: الحروف وأصواها

"يبين هنا الرافعي الأسباب اللسانية التي جرت عليها الفصاحة العربية وكانت معدِلا لألسنة القوم بين الاستخفاف والاستثقال وبين اللين في حرف والجُسْأة [2] في حرف وبين نظم مؤتلف ونظم مختلف .

فانتزع العرب بها وجوه التأليف والتركيب في ألفاظهم وجملهم على سَنَن[3] لائح ونَسَق واضح ، وأفضينا من كل ذلك إلى مخارج حروفهم وصفاتهم .

وهذه الصفات إنما أُخذ أكثرها من ألفاظ القرآن الكريم لا من كلام العرب وفصاحتهم." [4]

وكان أول ظهورها على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم فحين استمعت اليها الآذان العربية لفتها أول ما لفتها إليه جرس حروف كلمه وإيقاعها ، فرأوا حروفه في كلماته وكلماته في جمله ألحانا لغوية رائعة كأنها لشدة ائتلافها وتناسبها

([1]) مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي عالم بالأدب وشاعر ومن كبار الكتاب ولد سنة ١٢٩٨هـ ١٨٨١م بطنطا له ديوان شعر ط ثلاثة أجزاء وكتاب (تاريخ آداب العرب) و(تحت راية القرآن) و (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) توفي سنة ١٣٥٦ هـ ، ١٩٣٧ م (الأعلام) للزريكلي ج ٧ /٢٣٥.

([2]) جسأ الشيء يجسأ جسوءا وجسأة فهو جاسيء : صلب وخشن، وأرض جاسئة ونبت جاسيء. يابس ، والإسم (والجسأة) مثل الجرعة وهي الصلابة والخشونة . (لسان العرب) ١٥ جزء لابن منظور ت سنة ٧١١هـ الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤ هـ الناشر / دار صادر– بيروت ح ٣ / ٤٨ .

([3]) السنن : الطريقة والمثال ، يقال: بنوابيوهم على سنن واحد أي طريقة ومثال واحد . المعجم الوجيز ص٣٢٥

([4]) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفي صادق الرافعي طبع ونشر/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة١٤٢٥هـ ص١٤٧

وتناسقها قطعة واحدة فكان ذلك أبين وأوضح في إظهار عجزهم وتخاذلهم حتى إن من سولت له نفسه بامتطاء صهوة معارضته منهم كمسيلمة [1] مال في خرافاته وشططه ونهج نهجا لم يأت به أحد قبله ولا بعده وذلك حينما ألف كلاما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه وكلها ضروب من الحماقة يعارض بها أوزان القرآن في تراكيبه، ويجنح في أكثرها إلى سجع الكهان؛ لأنه كان يحسب النبوة ضربًا من الكهانة، فيسجع كما يسجعون.

" ومن قرآنه الذي زعمه قوله –أخزاه الله: والمبذرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمنًا. وكل كلامه على هذا النمط واهٍ سخيف لا ينهض ولا يتماسك، بل هو مضطرب النسج، مبتذل المعنى، مستهلك من جهتيه." [2] ولقد كان لهذا النظم الأثر البالغ في تصفًية طباع البلغاء بعد الإسلام وتولى تربية الذوق الموسيقي اللغوي فيهم .

" ولولا القرآن الكريم وهذا الأثر من نظمه العجيب لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة ولم يبق بعدهم للفصحاء إلا كما بقي من بعد هؤلاء في العامية ، بل لَما بقيت اللغة نفسها ولو نزل القرآن الكريم بغيراللغة العربية لكان ضربا من الكلام البليغ إلى أهل اللغات الأخرى ولكنه انفرد بهذا الوجه للعجز فتألقت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أُبدل بغيره أو أُقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللا بينا أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة وفي حس السمع وذوق اللسان وفي انسًجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ولرأيت لذلك هجنة [3] في السمع كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها ولم تتفق على طبقاتها وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا وذهب ما بقي منها إلى جهات متنا كرة .

ومما انفرد به القرآن الكريم وباين سائر الكلام أنه لا يَخْلَقُ على كثرة الرد

([1]) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي متنبئ من المعمرين ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بوادي حنيفة في نجد تلقب في الجاهلية وعرف برحمان اليمامة وهو أول من ادعى النبوة وأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بأنه شريك معه في الأمر وله نصف الأرض ولقريش نصفها وذلك في سنة ١٠هـ وقتل لعنه الله سنة ١٢ هـ في موقعة اليمامة بقيادة خالد بن الوليد (الأعلام ج٧ / ٢٢٦) و(الكامل لابن الأثير ج٢ / ١٣٧– ١٤٠) و(سيرة ابن هشام ج ٣ / ٧٤)

([2]) دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار
الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ عدد الأجزاء: ١ج /٣٥

([3]) الهجنة : وكان هجينا – والكلام وغيره : صار معيبا ومهزولا – (المعجم الوجيز) ص٦٤٥ .

وطول التكرار ولا تمل منه الإعادة وكلما أخذت فيه على وجهه الصحيح فلم تُخل بأدائه رأيته غضا طريا ، وجديدا مونقا وصادفت من نفسك له نشاطا مستأنفا وحسا موفورا وهذا أمر يستوي في أصله العالم الذي يتذوق الحروف ويستمري تركيبها ويمعن في لذة نفسه من ذلك ، والجاهل الذي يقرأ ولا يثبت معه من الكلام إلا أصوات الحروف وإلا ما يميزه من أجراسها على مقدار ما يكون من صفاء حسه ورقة نفْسه وهو منه لعمرالله أمر يوسَعَ فكر العاقل ويملأ صدر المفكر ولا نرى جهة تعليله ولَا نصحح تفسيرا إلا ما قدمنا من إعجاز النظم بخصائصه الموسيقية وتساوق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم بالهمس والجهر والقلقلة والصفير والمد والغنة ونحوها ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطا وإيجازا وابتداء وردا و إفرادا وتكريرا.

هذا على أنه ترسيل واتساق وتطويل لا يُضبط بحركات وسكنات كأوزان الشعر فتجعل له بطبيعتها صفة من النظم الموسيقي ولا يخرج على مقاطع الكلمات التي تجري فيها الألحان وضروب النغم مما يسهل تأليفه ويكون أمره إلى الصوت وطريقة تصريفه وتوقيعه لا إلى أصوات الحروف ووجهة تأليفها وتتابعها فيحسن مع أهل الصناعة وإن كانت حروفه غثة ([1]) التركيب وسمجة ([2])المخارج وكانت جافية كزة([3]) كزَّة حتى إذا صار إلى من لا يُحسن أن يوقع عليه الصوت ويطرد له اللحن من غير حذاق المغنين خرج أبرد كلام وأرذله وأسمجه وجاء وما تعرف من الكلال والفتور والتهالك في كلام أكثر مما تعرف منه .

([1]) غَثَّتِ الشاة: هُزلت فهي غَثَّة. وغَثَّ اللحمُ يَغِثُّ ويَغَثُّ غثاثة وغثوثة، هو غث وغثيث، إذا كان مهزولاً. وكذلك غَثَّ حديث القوم وأغَثَّ، أي رَدُؤَ وفسد. (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٦ ج١/٢٨٨

(٢) (سَمُجَ) قُبُحَ وَبَابُهُ ظَرُفَ فَهُوَ (سَمْجٌ) بِالسُّكُونِ مِثْلُ ضَخُمَ فَهُوَ ضَخْمٌ وَسَمِجٌ بِالْكَسْرِ مِثْلُ خَشُنَ فَهُوَ خَشِنٌ وَ (سَمِيجٌ) مِثْلُ قَبُحَ فَهُوَ قَبِيحٌ. وَقَوْمٌ (سِمَاجٌ) بِالْكَسْرِ مِثْلُ ضِخَامٍ. مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله ا الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ عدد الأجزاء: ١ ج١/١٥٣

(٣) (جافية) ودابَّةً جاسِئةُ القوائم: جافيةٌ خشِنَةٌ. كتاب العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، الناشر: دار ومكتبة الهلال عدد الأجزاء: ٨ ٦/. ١٦١ كزّت يده كزازة، ويدٌ كزّةٌ: منقبضة يابسة. وخشبة كزّة: صلبة عوجاء. وذهب كزٌ: يابس. وقوس كزّة: شديدة. وقسيّ كزّات. قال الجاحظ: إذا نزع فيها لم تستغرق السّهم. أساس البلاغة المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –عدد الأجزاء: ٢ ج ٣ / ٨٩٣

وبهذا الذي قدمناه يفسر قوله صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعَب على من كرهه لأن كرهه لا يكون إلا زعما وتكلفا من اللسان فأيما امرؤ سمعه أو فهمه أحبه وسوغه من شعوره ونفسه فمن أين تدخل الكراهة على النفس ولا سبيل إليها في الكلام إلى السمع والفؤاد[1] "؟

ثانيا : الكلمات وحروفها

"والكلمة في الحقيقة إنما هي صوت النَفَس لأنها قطعة من المعنى تختص به على وجه المناسبة .

وصوت النفس هوأول الأصوات الثلاثة التي لا بد منها في تركيب النسق البليغ حتى يستجمع الكلام بها أسباب الاتصال بين الألفاظ ومعانيها .

أما الأصوات الثلاثة التي أشرنا إليها فهي :

١- صوت النَفَس: وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس ، إن وقف عندها هذا المعنى قطع به.

٢- صوت العقل : وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام ومن الوجوه البيانية التي يداور بها المعنى لا يخطئ طريق النفس من أي الجهات انتحى إليها .

٣- صوت الحس : وهو أبلغهن شأنا لا يكون إلا من دقة التصور المعنوي والإبداع في تلوين الخطاب ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان أو يسوق إليها من طرائف المعاني ، يدعها من موافقته والإيثار له كأنها هي التي تريده وكأنها هي التي تحاول أن يتصل أثرها بالكلام إذ يكون قد استحوذ عليها وانفرد منها بالهوى والاستجابة" [2]

وعلى قدر ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت يكون فيه من روح البلاغة ،و صار كأنه روح للكلام ذاته ، تبادرك روعتة في كل جزء منه كما تبادرك الحياة في كل حركة للجسم الحي .

([1]) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفي صادق الرافعي ص١٧١ ، ١٧٢

([2]) بتصريف يسير من كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي ص ١٧٣ .

" ولو تأملت هذا المعنى لرأيته روح الإعجاز في هذا القرآن الكريم بحيث لو خلا منه لأشبه أن يكون إعجازه صناعيا عند العرب – إن بقي معجزا – ولو هم فقدوا هذا المعنى من أكثره أو من أقله ، لوجدوا مذهبا فيه للقول ومساغا للرد ، ولظلوا في مرية منه ثم لسارت عنهم الأقاويل في معارضته واعتراضه.

وهذا لأن صوت النفس طبيعي في تركيب لغتهم ، وإن كان فيها كمالا ونقصا يختلف من شخص لآخر.

أما صوت الفكر فلا يعجزهم أن يستبينوه في كثير من كلام بلغائهم وفصحائهم

وأما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريحه وانفرد به القرآن الكريم وقد كانوا يجدونه في أنفسهم منذ أن برعوا في اللغة وأساليبها ولكنهم لا يجدون بيانه في ألسنتهم لأنه من الكمال اللغوي" (١)

لذلك نجد أن بعد نزول القرآن الكريم صار للشعر العربي وجه آخر، فالقرآن الكريم وحده نزل من العرب منزلة مدرسة جامعة كبري يدرسون فيها بطباعهم فلسفة البلاغة ، ويظهر ذلك بجلاء في شعر كعب بن زهير بن أبي سلمى (٢)

وعباس بن مرداس ، وكعب بن مالك الأنصاري وحسان بن ثابت (٣) ،

---

(١) بتصريف يسير من كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٤٢٥ هـ ص ١٥٣

(٢) (٠٠٠ – ٢٦ هـ = ٠٠٠ – ٦٤٥ م)كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له " ديوان شعر – ط " كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلّم وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبيّ دمه، فجاءه " كعب " مستأمنا، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: " بانت سعاد فقلبي اليوم متبول"فعفا عنه النبي صلّى الله عليه وآله وخلع عليه= =بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة وحفيده العوّام، كلهم شعراء. وقد كثر مخمّسو لاميته ومشطّروها ومعارضوها وشرّاحها، وترجمت إلى الإيطالية، وعني بها المستشرق رينيه باسيه فنشرها مترجمة إلى الفرنسية، ومشروحة شرحا جيدا، صدّره بترجمة كعب. وللإمام أبي سعيد السكري " شرح ديوان كعب ابن زهير – ط " ولفؤاد البستاني " كعب ابن زهير الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ج٥/٢٢٦

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري النّجّاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الرحمن أو أبو الوليد. وعنه ابنه عبد الرحمن وابن المسيب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» (سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد ، الشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٢ ج١ / ١٣٣

وعبد الله بن رواحة [1] ، فقد غلبت على أشعارهم السمة البلاغية ذات الطابع الإسلامي وامتزجت فيها جزالة البداوة مع بلاغة وفصاحة القرآن الكريم فخرجت في أبهى حلة وأبين منطق [2]

" والقرآن الكريم لا يستعين بشيء من ذلك في إحكام عبارته والتأني بها إلى النفس وانتظام أسباب التأثير فيها ، ومتى قرأته أحسست من حروفه

وأصواتها وحركاتها ومواقع كلماتها وطريقة نظمها ومداورتها للمعنى بأنه كلام يخرج من نفسك ، وبأن هذه النفس قد ذهبت مع التلاوة أصواتا واستحال كل ما فيك من قوة الفكر والحس إليها ، وجرى فيها مجرى البيان فصرت كأنك على الحقيقة مطوي في لسانك .

ومن العجب في أمر هذا الحس الذي يتمثل في كلمات القرآن الكريم أنه لا يسرف على النفس ولا يستفرغ مجهودها ، بل هو مقتصد في كل أنواع التأثير عليها ، فلا تضيق به ذرعا ولا تنفر منه ولا يتخونها المَلال ، ولا تزال تبتغي أكثر من حاجتها في التروح والإصغاء إليه والتصرف معه والانقياد له ، وهو يسوغها من لذتها ويُرِفِهُ عليها من أساليبه وطرقه في

النظم والبيان ، وبهذا نجد كثيرا من العلماء وأهل التقوى والورع يستعذبوا ختم القرآن في اليوم مرة أوفي كل أسبوع مرة أو مرتين ، وهذا أمر منتشر وفاش ، ونجد

---

(١) (٠٠٠٠-٨ هـ = ٠٠٠٠-٦٢٩م) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد: صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبيّة. واستخلفه النبي صلى الله عيله وسلم على المدينة في إحدى غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة (بأدنى البلقاء من أرض الشام) فاستشهد فيها الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ج/ ٤/ ٨٦

(٢) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عن يزيد ابن عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مَوْلَى بَنِي نَوْفَلٍ أَنَّ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ أَتَيَا النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ نَزَلَتْ: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ يَبْكِيَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأها عَلَيْهِمَا: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ حَتَّى بَلَغَ إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَالَ: أَنْتُمْ. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ ج ٩ / ٢٨٣٤

كثيرا من هؤلاء إذا أقبل على صلاته ووقف بين يدي الله يقرأ في الركعة الواحدة سورة أو سورتين من الطوال ، وقد يصل في قراءته إلى ربع القرآن أو أكثر وهو مستغرق منتشي لا يشعر بمضي الوقت ولا من بجواره ، يسبح في نهر الإعجاز وعذب البيان وأنغامه الموسيقية الرائعة كأنه ليس من أهل الأرض ولا تربطه بهم علاقة .

(ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم في الليل حتى تتورم قدماه وتتفطر من طول القيام ؛ أي يتحجر الدم فيها وتنشق.

وقد قام معه شباب من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ولكنهم تعبوا فابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ يقول: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقام طويلاً حتى هممت بأمر سوء ، قالوا: بما هممت يا أبا عبد الرحمن ؟

قال: هممت أن أقعد وأدعه ، أي يجلس؛ لعجزه عن أن يصبر كما صبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وحذيفة بن اليمان ــ رضي الله عنه ــ قام معه ذات ليلة فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم البقرة والنساء وآل عمران، الجميع خمسة أجزاء وربع تقريباً ، ويقول حذيفة: كلما أتت آية رحمة سأل ، وكلما أتت آية تسبيح سبح ، وكلما أتت آية وعيد تعوذ ، وهو

معروف ــ عليه الصلاة والسلام ــ أنه يرتل القراءة.)" (1)

خمسة أجزاء وربع، مع السؤال عند آيات الرحمة ، والتعوذ عند آيات الوعيد ، والتسبيح عند آيات التسبيح ؛ فماذا يكون القيام ؟

يكون طويلاً.

وهكذا كان النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقرأ في الليل.

وإذا أطال القراءة أطال الركوع والسجود أيضاً، فكان يطيل القراءة والركوع والسجود.

فإذا كان يقوم ــ عليه الصلاة والسلام ــ مثلاً في ليلة من ليالي الشتاء وهي اثنتا عشرة ساعة ، يقوم أدنى من ثلثي الليل ؛ فلنقل إنه صلى الله عليه وسلم يقوم سبع ساعات تقريباً وهو يصلي ــ عليه الصلاة والسلام ــ في الليل الطويل. تصور ماذا يكون حاله ــ عليه الصلاة والسلام؟ ومع هذا فقد صبر نفسه ، وجاهد نفسه ،

(1) (شرح الأربعين النووية): لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الثريا للنشر عدد الأجزاء: ١ ج ١٤٦/١

وقال: (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً) [١]

وكان أصحابه يعكفون على تلاوة القرآن ولايفتروا عنه أبدا حتى إذا مررت على بيوهم تسمع لها دويا كدوي النحل.

(فعن قرظة بن كعب الأنصارى قال: أردنا الكوفة فشيعنا عمر إلى صرار فتوضأ فغسل مرتين ثم قال تدرون لم شيعتكم فقلنا نعم نحن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – امضوا وأنا شريككم) [٢]

إذن الأصل في نظم القرآن الكريم أن تُعتبر الحروف بأصواها وحركاها ومواقعها في الدلالة المعنوية ونزول كلماته منازلها على ما استقرت عليه من طبيعة البلاغة ، بحيث لو نزعت كلمة منه أو بدلت ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها ، لم يتهيأ ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة ، وهذاهو السر في إعجازه وقد أحس به العرب لأهم لا يذهبون مذهبا غيره في منطقهم ، وإنما يختلفون في أسباب القدرة عليه ومعنى الكمال فيه ، ولو أهم وجدوا سبيلا إلى نقص كلمة من القرآن الكريم لأزالوها وأثبتوا فيه هذا الخطأ ، إذ كان من المشهور عنهم مثل هذا الصنيع في انتقادهم وتصفحهم بعضهم على بعض في التحدي .والمناقضة

ولنسق لك مثلًا من نقدهم ، فلقد عرض بيتان في سوق عكاظ على الخنساء [٣]

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعيالناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: ١٣ ج ١/ ١٤٠

(٢) جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) لجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د علي جمعة (مفتي الديار المصرية) طبع على نفقة: د حسن عباس زكى عدد الأجزاء: ١٣ ج ٢٥ /٣٦٠

(٣) الْخَنْسَاء (٠٠٠ – ٢٤ هـ = ٠٠٠ – ٦٤٥ م تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُّلَمية، من بني سُليم، من قيس عيلان، من مضر: أشهر شواعر العرب، وأشرهن على الإطلاق. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله صلّى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء! أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية. لها (ديوان شعر – ط) فيه ما بقي محفوظا من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية (سنة ١٦ هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعا فقالت: الحمد للَّه الّذي شرفني بقتلهم! الأعلام المؤلف: خير الدين ، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ج ٢ /٨٦

لحسان بن ثابت –رضي الله عنهما، فلمحت بقوة الملاحظة الناقدة ما فيها من عيوب

تخفى إلا على من يذوق الكلام ذوقًا، ويدرك معانيه وألفاظه بأرب وفكر مستقيم.

قال حسان –رضي الله عنه:

لنا الجفنات الغير يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ... فاكرم بنا خالًا، وأكرم بنا ابنما

فقالت الخنساء: ضعَّفت افتخارك ، وأنزرته في ثمانية مواضع ، قالت: قلت لنا الجفنات ، والجفنات ما دون العشر، ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت: الغر ، والغرة البياض في الجبهة ، ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعًا. وقلت : يلمعن ، واللمعان شيء يأتي بعد الشيء ، ولو قلت: يشرقن لكان أكثر؛ لأنَّ الإشراق أدوم من اللمعان ، وقلت : بالضحى، ولو قلت بالدجى لكان أبلغ في المديح ؛ لأن الضيف أكثر طروقًا بالليل ،

وقلت : أسيافنا ، والأسياف دون العشرة ، ولو قلت سيوفنا لكان أكثر، وقلت: يقطرن ، فدلَّلت على قلة القتل ، ولو قلت : يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ، وقلت دمًا ، والدماء أكثر من الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدوك .[1]

" ولو تدبرت ألفاظ القرآن الكريم في نظمها ، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض ، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي ، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان ، فلا تعذُب ولا تساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحروف والحركة ، فإذا هي استعملت في القرآن الكريم رأيت لها شأنا عجيبا ، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان ، واكتنفتها بدروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه ، وجاءت متمكنة في موضعها ، وكان أولى الحركات بالخفة والروعة :

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) الناشر: دار الفكر العربي عدد الأجزاء: ١ ج١ /٧٠

من ذلك لفظة﴿ النذر ﴾ جمع نذير، فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معا ، فضلا عن جُسَأَة [1] هذا الحرف ونبوه في اللسان ، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام .فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصِح عن موضع الثقل فيه ولكنه جاء في القرآن الكريم على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى: ﴿ ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر﴾القمر٥٤/ ٢٦ فتأمل هذا التركيب ، وتذوق مواقع الحروف واجر حركاتها في حس السمع وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقد) وفي الطاء من

﴿ بطشتنا ﴾ وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو﴿ تماروا ﴾،

مع الفصل بالمد ، كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان ، ليكون ثقل الضمة عليه مستخَفا بعد ، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعا كما تكون الأحماض في الأطعمة .

ثم ردد نظرك في الراء من﴿ تماروا ﴾ فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء ﴿النذر ﴾ حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها ، فلا تجْفُ عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون ﴿أنذرهم ﴾ وفي ميمها ، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في ﴿ النذر﴾.

وما من حرف أو حركة في الآية إلا وأنت مصيب من كل ذلك عجبا في موقعه والقصد به ، حتى ما تشك أن الجهة واحدة في نظم الجملة والكلمة والحركة والحرف ليس منها إلا ما يشبه في الرأي أن يكون قد تقدم فيه النظر وأحكمته الروية وراضه اللسان ، وليس منها إلا متخير مقصود إليه

من بين الكلم ومن بين الحروف ومن بين الحركات ، وأين هذا ونحوه عند تعاطيه ومن أي وجه يُلتمس على أي جهة يستطاع وكيف يأتي للإنسان في مثل تلك الآية وحدها - فضلا عن القرآن الكريم كله – وهو لا يكون إلا عن نظر وصنعة كلامية والبليغ من الناس متى اعتسف هذا الطريق ولم يكن في الكلام إلى سجيته وطبعه فقد خذلته البلاغة واستهلكته الصنعة وضاق به التصرف وتناثرت أجزاء كلامه من جهاتها وكلما لجً في المكابرة لجت البلاغة في الإباء ، فمثله كمن يمشي مستديرا ويحسَب أنه يتقدم ، لأنه -زعم– لم يحرف وجهه ولم ينفتل عن قصده ، ولأن نظره ما يزال ثابتا فيما

---

(١) جسأ الشيء يجسأ جسوءا وجسأة فهو جاسيء : صلب وخشن، وأرض جاسئة ونبت جاسيء. يابس ، والإسم (والجسأة) مثل الجرعة وهي الصلابة والخشونة . (لسان العرب) ١٥ جزء لابن منظور ت سنة ٧١١هـ الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤ هـ الناشر / دار صادر– بيروت ح ١ / ٤٨ .

يستقبله !

ثم ذهب بعد ذلك الرافعي يضرب أمثله تدل على الإعجاز البياني في القرآن الكريم وهو يقول مثلا :

وفي القرآن الكريم لفظة غريبة هي أغرب ما فيه وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه وهي كلمة ﴿ ضيزى ﴾ [1]

من قوله تعالى : ﴿ تلك إذن قسمة ضيزى ﴾ النجم٢٢/٥٢ ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ، فإن السورة التي هي منها هي سورة النجم مفصلة كلها على الياء فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب ، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد ، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع أولادهم البنات فقال تعالى : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن قسمة ضيزى ﴾ النجم ٢٢/٥٢ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى ، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة ، وخاصة في

اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية

وإن تعجب فعاجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافها على ما قبلها إذ هي مقطعان :

أحدهما مد ثقيل ، والآخر مد خفيف ، وقاف جاءت عقب غنتين في﴿ إذن ﴾

و﴿ قسمة ﴾ وإحداهما خفيفة حادة ، والأخرى ثقيلة متفشية ، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي . وهذا معنى رابع للثلاثة التي عددناها آنفا ،

---

(١) (ضَازَ) فِي الْحُكْمِ جَارَ وَ (ضَازَهُ) حَقَّهُ نَقَصَهُ وَبَخَسَهُ وَبَابُهُمَا بَاعَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم: ٢٢] أَيْ جَائِرَةٌ وَهِيَ فُعْلَى مِثْلُ طُوبَى وَحُبْلَى وَإِنَّمَا كَسَرُوا الضَّادَ لِتَسْلَمَ الْيَاءُ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فِعْلَى صِفَةً وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بِنَاءِ الْأَسْمَاءِ كَالشِّعْرَى وَالدِّفْلَى. وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: (ضِئْزَى) بِالْهَمْزَةِ. مختار الصحاح المؤلف: لأبي عبد الله الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ عدد الأجزاء: ١ ج ١ / ١٨٦

أما خامس هذه المعاني ، فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة على غرابتها إنما هي أربعة أحرف أيضا " [1]

ثالثا: الجمل وكلماتها :

قال الرافعي في هذا الباب : "إن (روح التركيب) لم تُعرف قط في كلام عربي غير القرآن وبها انفرد نظمه ، وكأنما وُضع جملة واحدة ، ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين : فمن هنا تعلق بعضه على بعض ، وخرج صفة واحدة ، هي صفة إعجازه في جملة التركيب ، ولولا تلك الروح لخرج أجزاءً متفاوتة .

وإن من أعجب ما اُتُفق في هذا القرآن من وجوه إعجازه أن معانيه تجري في مناسبة الوضع وإحكام النظم مجرى ألفاظه " [2]

وهو علم عجيب أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال: [3]

(إن أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيب والروابط) [4] .

" وكذلك فعل برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد ، جمع فيه أسرار القرآن الكريم مما تتحير فيه العقول ، وكان جل مقصوده بيان ارتباط الجمل

بعضها ببعض " [5]

---

(١) بتصريف يسير من كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٤٢٥ هـ ص ١٥٩

(٢) بتصريف يسير من كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي ــ ص ١٦٩

(٣) تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ــ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ت / ٦٠٦هـ ــ ط / دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ــ الثالثة – ١٤٢٠ هـ (١٠ / ١١٠) .

(٤) (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) لمصطفى الرافعي ص ١٦٩،١٦٨ – الناشر / دار الكتاب العربي – بيروت لبنان .

(٥) – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين) ج١ /٨ تاريخ آداب العرب المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: – عدد الأجزاء: ٣

" وأي معنى أعجب من أن تتجاذبك معاني الوضع في ألفاظ القرآن الكريم فترى اللفظ تارة في موضعه لأنه الأليق في النظم ، الأوسع في المعنى ، والأقوى في الدلالة ، والأحكم في الإبانة ، والأبدع في وجوه البلاغة ، والأكثر مناسبة لمفردات الآية حتى خرج في تركيب قصر معارضته أن تنتهي إليه بعينه .

وإن من أعجب ما يحقق الإعجاز أن معاني هذا الكتاب الكريم لو ألبست ألفاظا أخرى من نفس العربية ، ما جاءت في نمطها وسمتها والإبلاغ عن ذات المعنى ولا في حكم الترجمة ، ولو تولى ذلك أبلغ بلغائها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ثم جعل غرابة أوضاعه التركيبية من الإعجاز البياني للقرآن الكريم حيث قال : إنك تنظر في تركيبه لا ترى كيفما أخذتْ عينُك منه إلا وضعا غريبا في تأليف الكلمات ، وفي مساق العبارة وبحيث تبادرك غرابته من نفسها وطابعها بما تقطع أن هذا الوضع وهذا التركيب ليس في طبع الإنسان " [1]

وبعد هذا كله إذا أردنا أن نبين أوجه الاتفاق والاختلاف بين هؤلاء العلماء وبين الإمام الزر قاني في مناهل العرفان نجد الآتي :

الإمام الزرقاني قد رد سبب الإعجاز البياني في القرآن الكريم إلى وجهين اثنين :

الوجه الأول : اللغة والأسلوب .

والوجه الثاني : طريقة تأليفه .

ففي الوجه الأول : قصد باللغة الألفاظ والتراكيب وقصد بالأسلوب الطريقة التي أنتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه ، ثم بين أن الإعجاز في الأسلوب أتى من خصائص الأسلوب القرآني التي تدور حول :

١- مسحة القرآن الكريم اللفظية في النظام الصوتي والجمال اللغوي [2]

---

(١) بتصريف يسير من كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية المؤلف: مصطفى صادق الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ عدد الأجزاء: ١ ج١ /١٧١

(٢) والأمْسَحُ من المَفاوِز كالأَمْلَس، والجميع الأماسِحُ. والمِساحةُ: ذَرْعُ الأرض، يقال: مَسَحَ يمسَحُ مَسْحاً ومِساحةً. والمَسْحُ: ضَرْب العنق تمسَحُه بالسَّيْف مَسْحاً ومنه قوله- عز وجل-: فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ. والتِّمْسَحُ والتِّمْساح: خَلْقٌ في الماء شَبيهٌ بالسُّلَحْفاة، إلا أنه ضَخْمٌ طويلٌ قَويٌ. والماسِحة: الماشطة. والمُماسَحَة: المُلايَنة في المُعاشَرة من غير صفاء القَلْب. وعلى فلانٍ مَسْحةٌ من جَمال، وكانَتْ مَيَّةُ تتمَنَى لقاء ذي الرُّمَّة فلمّا رَأَتْه استَقْبَحته فقالت: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تَراه، فَسِمع ذو الرُمَّة فهَجاها فقال: على وجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ من مَلاحةٍ ... وتحت الثِّياب الشَّيْن لو كانَ بادياً الكتاب: كتاب العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)

٢- إرضاء العامة والخاصة .

٣- إرضاء العقل والعاطفة .

٤- جودة السبك وإحكام السرد .

٥- تصريف القول ببراعة حيث يورد المعنى الواحد بألفاظ مختلفة .

٦- جمع القرآن الكريم بين فني الإجمال والبيان في آن واحد .

٧- قصد اللفظ القرآني مع وفائه بالمعنى .

فلو قمنا بالمقارنة بين رأي الإمام الزرقاني والقدماء لوجدنا الآتي :

أن الإمام الزرقاني سمى وجه الإعجاز البياني بالإعجاز في اللغة والأسلوب ثم التأليف .

وإذا نظرنا لرأي عالم سابق وهو النَّظام من أئمة المعتزلة والذي أرجع إعجاز القرآن الكريم في النظم والتأليف إلى الصُرفة وهذا لم يقل به الإمام الزرقاني .

وهناك من رد الإعجاز إلى البلاغة الموجودة في القرآن الكريم التي هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ مثل الإمام الرماني كما عرضنا من قبل (١)

وهنا من ردها إلى الإحاطة الإلهية بأسرار اللغة حتى كان الإعجاز في اللفظ والمعنى والنظم في القرآن الكريم ، ثم ما للقرآن الكريم من إعجاز في الأثر النفسي (٢)

وهناك من يرى الإعجاز في وجهين أحدهما أنه خَرَقَ العادة بفصاحته ثم الإعجاز بالصرفة وهو رأي ابن سنان الخفاجي (٣)

ثم كان على رأسهم عبدا لقاهر الجرجاني الذي أرجع الإعجاز إلى النظم والتأليف. (٤)

من هنا يتبين لنا أن الإمام الزرقاني اختلف اختلافا كليا مع من رد الإعجاز البياني إلى (الصرفة) وكان متفقا اتفاقا كبيرا مع كثير من القدماء في رد الإعجاز البياني إلى اللغة والأسلوب والتأليف فالذي قصده الإمام هو نفس ما قصده هؤلاء القدماء وإنما

---

(١) سبق الترجمة له في مبحث التمهيد المبحث الأول جهود السابقين في قضية الإعجاز القرآني ص ٨

(٢) وهو أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي وقد سبق الترجمة له في المرجع السابق ص ٩

(٣) وقد سبق الترجمة له في المبحث الثاني من الفصل الثاني ص٥٨

(٤) وقد سبق الترجمة له في التمهيد ص ٩

كان الاختلاف في المسمى فقط ، فالقدماء أسَموه الإعجاز في النظم ، والإمام الزرقاني أسماه الإعجاز في الأسلوب واللغة ولكن المضمون والمعنى والقصد واحد

أما رأي الإمام اللاحق وهو الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي [١]

رحمه الله تعالى فقد سمى وجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم بالنظم أيضا كما قال بعض القدماء وجعل للنظم طرقا ثلاثة وهي :

١- الإعجاز في كل حرف من حروف القرآن الكريم .

٢- الإعجاز في الكلمة .

٣ – الإعجاز في الجمل والتراكيب .

وإذا نظرنا إلى الإعجاز في الحرف نجده بالضبط ما عبر عنه الإمام الزرقاني في خصائص الأسلوب القرآني بمسحة القرآن اللفظية في النظام الصوتي من التفخيم والترقيق والجهر والهمس والمد [٢] .....الخ

وفي الكلمة والجمل نجد تطابق بين ما ذكره الإمام الزرقاني والأديب الإسلامي الرافعي .

هذا إذا هو اختلاف في المسميات فقط ولكن الهدف والمضمون والغاية يؤدي كله إلى معنى واحد وهو وجود قمة الإعجاز البياني في الحرف والكلمة والجملة القرآنية .

---

(١) مصطفى صادق الرافعي سبق الترجمة له في المبحث الأول من التمهيد ص ١٥ (١) أنظر الخاصة الأولى من خصائص اسلوب القرآن الكريم في المبحث الأول من الفصل الثاني ص ٣٧ :٤٢

(٢) أنظر الخاصة الأولى من خصائص اسلوب القرآن الكريم في المبحث الأول من الفصل الثاني ص ٣٧ :٤٢

المبحث الثاني ويحتوي على :

وجوه الإعجاز الأخرى وذلك كله من خلال ما عرضه الإمام الزرقاني ويشتمل على اثني عشر وجها من أوجه الإعجاز وهي كالآتي :

١ – علومه ومعارفه .

٢ – وفاؤه بحاجات البشر .

٣ – موقف القرآن الكريم من العلوم الكونية .

٤ – سياسته في الإصلاح .

٥ – أنباء الغيب فيه .

٦ – آيات العتاب .

٧ – ما نزل بعد طول انتظار .

٨ – مظهر النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه .

٩ – آية المباهلة .

١٠ – عجز الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإتيان ببديل له .

١١– الآيات التي تجرد الرسول صلى الله عليه وسلم من نسبة القرآن الكريم إليه .

١٢– تأثير القرآن الكريم ونجاحه .

الوجه الأول : علومه ومعارفه

"وبيان ذلك الوجه أن هذا القرآن الكريم قد نزل من عند الله –عز وجل– على نبيٍّ أميٍّ، لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس إلى معلم، فألفيناه كتابًا جامعًا لأخبار الأولين والآخرين ، حافلًا بالإشارات الدالة على ما في الكون من آيات وعِبَر ، ومعلومات كانت مستترة عن سائر البشر ، ومغيبات ما كان لأحد أن يعرفها إلا عن طريق هذا الكتاب المبين.

ووجدنا فيه جميع أسباب الهداية ، ووسائلها الحكيمة ، وعرفنا منه ما يكون فيه صلاح الناس جميعًا في دنياهم وآخرتهم.

فقد اشتمل هذا الكتاب العزيز على كثير من العلوم والمعارف الكونية، والإنسانية ، المشتملة على أصول الإصلاح العقدي ، والنفسي ، والخلقي والاجتماعي ، والسياسي ، والاقتصادي ، والفكري ، فكان بذلك كتاب هداية ، ومنهج حياة " (١)

" تقرؤه فإذا بحر العلوم والمعارف متلاطِمٌ زاخر ، وإذا روح الإصلاح فيه قويٌّ قاهر ، ثم إذا هو يجمع الكمال من أطرافه ، فبينما تراه يُصْلِحُ ما أفسده الفلاسفة بفلسفتهم ، إذ تراه يعدم ما تَرَدَّى فيه الوثنيون بشركهم، وبينما تراه يصحح ما حرَّفه أهل الأديان في دياناتهم ، إذ تراه يقدِّم للإنسانية مزيجًا صالحًا من عقيدة راشدة ترفع همة العبد ، وعبادة شاملة تطهِّر نفس الإنسان ، وأخلاق عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله في الأرض ، وأحكام شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد ، وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة. دينًا قيمًا يساوق الفطرة ويوائم الطبيعة ، ويشبع حاجات القلب والعقل ويوفِّق بين مطالب الروح والجسد ، ويؤلف بين صالح الدين والدنيا، ويجمع بين عزِّ الآخرة والأولى ، كل ذلك في قصد واعتدال ، وبراهين واضحة مقنعة تبهر العقل ، وتملك اللب" (٢)

أمثله من عقيدة الإيمان بالله :

١ –نص القرآن الكريم على عقيدة الإيمان بالله تعالى وجعلها أساس لتقبل العبادة

---

(١) دراسات في علوم القرآن المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ عدد الأجزاء: ١ج١ / ٣٥٤

(٢) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢ ج٢ /٣٤٢

وهي مدار التكليف قال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾البينة٩٨/ ٥ وقال تعالى أيضا ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات ٥١/٥٧ فالعبادة إذا هي مطلق الإيمان بالله تعالى ، ونص على استحالة الولد ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾مريم١٩/٣٥ وكل ما يشعر بالمشابهة أو المماثلة أو

المحاكاة قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ "الشورى ٤٢/١١ووصف الله نفسه بالكمال المطلق ، ونص على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته ، بمعنى أنه أحد في تدبيرشئون خلقه وأحد في استحقاقه للعبادة دون غيره." [١]

٢- في أقدم الديانات السماوية قد ضل اليهود من بعد موسى فعبدوا بعلا ، وزعموا في عهد من عهودهم ما زعمت النصارى أن لله ابنا قال تعالى

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾"التوبة ٩/٣٠ وشبهوا الخالق جل وعلا

بالمخلوق فنعتوه – سبحانه وتعالى – بأنه كَلَّ من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت ، وافتروا على الله الكذب

فقالوا إنه سبحانه وتعالى تجلى للمخلوقين على شكل إنسان وصارع إسرائيل فلم يقدر على التخلص منه حتى باركه فأطلقه ، إلى غير ذلك من أغلاطهم وفضائحهم " [٢]

٣ – ثم جاء من بعد ذلك النصارى فضلوا من بعد عيسى ، فبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم وذويهم دار البوار ، فضلوا وحرفواوافتروا على الله الكذب بما لم ينزل به سلطانا " وقالو بالتثليث وصارت كنائسهم من عهد قسطنطين كهياكل الوثنية الأولى وخلعوا على رجال كَهْنوهم ما هو حق الله وحده من التشريع والتحليل والتحريم "[٣] قال تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ﴾التوبة ٩/٣١

---

(١) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان ج ٢ ص ٣٤٣

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءا ج١١/ ١٧١- و بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان طبعة / المطبعة الفنية سنة ٢٠٠٤ م ج ٢ / ٣٤٤ .

(٣) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان ج ٢ ص ٣٤٣

أمثلة من عقيدة البعث والجزاء :

١- من الأسس التي جاءت بها العقيدة الأسلامية عقيدة البعث والجزاء

حيث جعلها من الثوابت الضرورية التي لايكمل إيمان المرء ولا يقبل إلا بها قال تعالى ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾البقرة ٢/٤ " وجعلها شاملة للروح والجسد ، مقسطة لا شفاعة هناك بالمعنى الفاسد ، إذ لا فضل لجنس ولا لطائفة ولا لبشر إلا بالتقوى قال تعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (١) " الزلزلة ٩٩ /٨،٧.

٢- وضل اليهود وركبوا أمواج الكبر ونصبوا من أنفسهم أولياء، هذا

موقف علماء اليهود وأحبارهم،" أما الأمّيون فلا يعرفون عن دينهم إلا أكاذيب سمعوها ولم يعقلوها مثل الزعم القائل بأنهم شعب الله المختار وأن الأنبياء منهم يشفعون لهم ، وأن النار لا تمسهم إلا أياما قليلة.

قال مجاهد : قام النّبي صلّى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم فقال: يا إخوان القردة ، ويا إخوان الخنازير ، ويا عبدة الطاغوت، فقالوا: من أخبر بهذا محمدا ؟ ما خرج هذا إلا منكم ، أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم أنهم الشعب المختار من بين شعوب

الأرض. "(٢)

٣- " وَالنَّصَارَى جَدَّدُوا مِنْ عَهْدِ قُسْطَنْطِينَ الْوَثَنِيَّاتِ الْقَدِيمَةَ، فَغَمَرَ الشِّرْكُ بِاللهِ هَذِهِ الْأَرْضَ بِطُوفَانِهِ وَطَغَتِ الْوَثَنِيَّةُ عَلَى أَهْلِهَا، حَتَّى صَارَتْ كَنَائِسُ النَّصَارَى كَهَيَاكِلِ الْوَثَنِيَّةِ الْأُولَى مَمْلُوءَةً بِالصُّوَرِ وَالتَّمَاثِيلِ الْمَعْبُودَةِ - عَلَى أَنَّ عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ وَالصَّلْبِ وَالْفِدَاءِ هِيَ عَقِيدَةُ الْهُنُودِ فِي كَرْشَنَةَ وَثَالُوثُهُ فِي جُمْلَتِهَا وَتَفْصِيلِهَا ، وَهِيَ مَدْعُومَةٌ بِفَلْسَفَةٍ خَيَالِيَّةٍ غَيْرِ مَعْقُولَةٍ، وَبِنظَامٍ يَقُومُ بِتَنْفِيذِهِ الْمُلُوكُ وَالْقَيَاصِرَةُ ، وَيُبْذَلُ فِي سَبِيلِهِ الْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَيُرَبَّى عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ مِنَ الصِّغَرِ تَرْبِيَةً وِجْدَانِيَّةً خَيَالِيَّةً لَا تَقْبَلُ حُجَّةً ولا برهان " (٣)

---

(١) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان ج ٢/ ٣٤٦

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ عدد الأجزاء : ٣ مجلدات في ترقيم مسلسل واحد ج ١ / ٧٨

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءا ج١١/ ١٧١

الوجه الثاني وفاؤه بحاجات البشر :

إن القرآن الكريم ككتاب هداية للناس عامة وبحكم هيمنته على الكتب السابقة وأنه آخر الكتب السماوية المنزلة على أمة ما أتاهم من نذير ولا بشير من قبل فكان من البديهي لذوي العقول أن يأتي بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر وترسم لهم الخطى وتضع لهم الأسس التي بها يسعدوا في الدنيا والآخرة فجاءت آياته تدعوا البشر الى التمسك بعرى هذا الدين والإمتثال الكامل لتعاليمه والتأسي برسوله صلى الله عليه وسلم ويتضح هذا من خلال ماسنعرضه من مقاصد التشريع الحكيمة التي دعا إليها القرآن الكريم في هداياته ومنها ما يأتي :

أولا:"إصلاح العقائد الفاسدة عن طريق إرشاد العباد إلى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما تحت عنوان الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ثانيا: صلاح العبادات عن طريق دعوتهم إلى التمسك بالفضائل والإبتعاد عن الرذائل بغية الوصول الى ما يزكي نفوسهم ويسمو بأرواحهم ويهذب أخلاقهم

ثالثا : دعوتهم إلى إذابة كافة الفوارق الإجتماعية فيما بينهم والقضاء على العصبية القبلية وإزالة الفوارق التي تباعد فيما بينهم ، وذلك بإشعارهم أنهم

متساوون أمام الله ودينه وتشريعه متكافئون في الأفضلية وفي الحقوق والتبعات من غير استثناءات ولا امتيازات ، وان الإسلام عْقد إخاء بينهم اقوى من إخاء النسب والعصب قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾الحجرات ١٠/٤٩

ووضح لهم أن لسانهم العام هو لسان هذا الدين ولسان كتابه الكريم

– لغة العرب – وأنهم أمة واحدة يؤلف بينها المبدأ ولا تفرقها الحدود الإقليمية ولا الفواصل السياسية والوضعية ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ الأنبياء ٩٢./٢١

رابعا : تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بإرساء قواعدالعدل المطلق والمساواة بين الناس ، والوفاء بالعهود سواء كانت دولية أو إقليمية وتهذيب الحرب ووضعها على قواعد سلمية لخير الإنسانية من مبدئها إلى غايتها ، وإيثار السلم عليها ، والاكتفاء بالجزية عند النصر والظفر فيها .

خامسا : الدعوة إلى إصلاح الحالة الإقتصادية وحماية المال من التلف ووجوب إنفاقه

في وجوه البر، وأداء الحقوق الخاصة والعامة والسعي المشروع.

سادسا : الدعوة إلى إصلاح الحياة الأسرية وتنظيم أوجه العلاقة بين كل من الرجل والمرأة عن طريق إبراز الحقوق والواجبات لكل منهما ، ومنهاحماية المرأة واحترامها وإعطائها جميع الحقوق الإنسانية والمدنية .

سابعا : الدعوة إلى تحرير الرق الموجود بطرق شتى ، وذلك بالترغيب العظيم في تحرير الرقاب ، وجعله كفارة للقتل والظهار ، ولإفساد الصيام بطريقة فاحشة ، ولليمين الحانثة ، ولإيذاء المملوك باللطم أو الضرب" (١)

الدليل على هذا الوجه من الإعجاز (٢) :

والدليل على هذا الوجه من إعجاز القرآن الكريم أن غير المسلمين كانوا ولا يزالون حائرون يبحثون عن النور ، وينقبون عما يفي بحاجاتهم في كثير من نواحي حياتهم حتى اضُطروا تحت ضغط هذه الحاجة وبعد طول المطاف وقوة التجارب ، أن يرجعوا إلى هداية القرآن الكريم من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

وإليك شواهد على ذلك منها :

١- أمريكا حرمت الخمر أخيرا ولكنها فشلت ولم تنجح لأنها لم توفق إلى الطريقة الحكيمة التي اتبعها الإسلام في تحريم الخمر وهو التدرج.

٢- أمريكا أباحت الطلاق ، وان كانت أسرفت فيه إلى درجه ضارة .

٣- أسبانيا أصدرت حكومتها قانونا بمنع البغاء الرسمي في بلادها ، ومنع النساء من البروز على الشواطئ في ثياب الاستحمام .

٤- مصلحوا أوروبا يرفعون أصواتهم بضرورة الرجوع إلى مبدأ تعدد الزوجات حتى بعض نسائهم طالبن بهذا وكذلك فعل اليهود لعنهم الله .

٥- زعيم فرنسا نادى غداة هزيمتها في الحرب القائمة الآن (٣) يقول: إن سبب انهيار دولتهم هو انغماسُهم في الشهوات الجنسية وإسرافُهم في المفاسد والمفاتن .

الوجه الثالث موقف القرآن من العلوم الكونية:

(١) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان ج ٢/ ٣٥٢

(٢) انظر مناهل العرفان ج ٢ /٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) لعل الإمام الزرقاني أراد بقوله (الآن) تلك الفترة التي هَزمت فيها فرنسا من ألمانيا وسقطت باريس في أيدي الألمان في ١٤ يونيو سنة ١٩٤٠ م وكان هو من المعاصرين لتلك الأحداث آنذاك .

لقد عبر القرآن الكريم عن العلوم الكونية وحصرها في خمسة نقاط ، ذلك لصدورها من عالم قدير، يعلم مدى حاجة المخلوقين إليها ، ولا يصدرمثلها أبدا عن مخلوق أيا كان هذا المخلوق على درجة من العلم ، فضلا عن رجل أمي نشأ في الأميين ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

"(أولها) إن القرآن الكريم أهمل العلوم الكونية فلم يتطرق إليها عن عمد ، وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء ، وفي طيات تفاصيلها من الدقة والخفاء ما يعلو على أفهام العامة .

وذلك لهوانها إزاء ما يقصده القرآن الكريم من هداية الثقلين إلى سعادة الدنيا والآخرة.

فإذا ذكر فيه شيء من الكونيات ، فذلك للهداية والإستدلال على الخالق ، ولا يكون ذكرها مطلقا على سبيل أنه يشرح حقيقة علمية في الهيئة والفلك أو الطبيعة والكيمياء ... الخ

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ البقرة ٢ / ٠٢

ومنها قوله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ المائدة ٥ /١٥

ذلك لأن كتاب الله له وظيفة محددة ، هي أسمى وظيفة من أجلها نزل ، ألا وهي هداية البشرية ، فما ينبغي لنا أن نحمله ما ليس من مهمته ووظيفته

وما العلوم الكونية بإزاء هذه الهدايات القرآنية ؟

ولنرى الأن ما جرته هذه العلوم الكونية – بعدما تجردت من هدي الله ووحي السماء – على البشرية من ويلات الحروب وكوارث مدمرة

(ثانيها) إن القرآن الكريم إذا تعرض لبعض هذه العلوم فإنما هدفه

من ذلك البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر قال سبحانه وتعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ يونس ١٠ / ١٠١

(ثالثها) كذلك القرآن الكريم حينما تعرض لهذه الكونيات أعلمنا أنها مربوبة ومقهورة لمراده تعالى قال تعالى : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ﴾

وكذلك أعلمنا القرآن الكريم أنها هالكة ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ القصص ٢٨ /٨٨ .

(رابعا) أن القرآن الكريم حينما يعرض الآية الكونية يتحدث عنها حديث المحيط بعلوم الكون ، والخبير بأسرار السموات والأرض

وذلك هو الذي بهر بعض المنشغلين بالعلوم الكونية ، وأوقع من أوقع منهم في الإسراف ، واعتبروا هذه العلوم من علوم القرآن الكريم .

(خامسا) لقد عبرالقرآن الكريم عن العلوم الكونية بأسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في نمط واحد قال تعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ الذاريات ٥١/٤٩ .

واختلف العلماء فيما بينهم في فهم هذه الآية فمنهم – السابقون – من صرف لفظ الزوجين في الآية إلى الشيئين المتقابلين ، مثل الليل والنهار، والسماء والأرض ، والشمس والقمر ، والبر والبحر ، والحياة والموت ، وهكذا وقالوا : كل اثنين منها زوج ، والله تعالى فرد لا مثيل له .

وأما المتأخرون ففهموا أن الزوجين في الآية ، هما الأمران المتقابلان بالذكورة والأنوثة وقالوا: إنه ما من شيء في الوجود إلا منه الذكر والأنثى ، سواء في ذلك الإنسان والحيوان والجماد وغيرها ، ويستدلون على ذلك بقوله سبحانه :﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ سورة يس ٣٦ /٣٦.

وقالوا:إن أحدث نظرية في أصول الأكوان تقررأن أصول جميع الكائنات تتكون من زوجين اثنين وبلسان العلم الحديث (إلكترون وبروتون) ولقد ظهر أخيرا كتاب خطير ، له جلالته وشأنه ، فصدّع هذا الكتاب بناء علمهم وزلزل أركان الثقة به ، بعد أن نقض بالدليل والبرهان كثيرا من المقررات التي زعموها يقينية ، ثم انتهى بقارئه إلى أن هذا الكون غامض متغلغل في الغموض والخفاء ومن هنا سمى تأليفه : (الكون الغامض) [1]

([1]) السير جيمس جينز عالم طبيعي رياضي انجليزي مشهور ، وهو مؤلف كتاب: «الكون الغامض » المترجم إلى اللغة العربية.. ورأيه هذا ليس هو أول من قال به. فقد سبق في فلسفة أفلاطون ثم استغرق حوالي ١٥٠ سنة من الجدل بين المدارس الفلسفية! وخاصة بين «المثالية» و «الوضعية» .. وما يزالون مختلفين! . (في ظلال القرآن) سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر/ دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

فهل يليق بعد ذلك كله أن نحاكم القرآن الكريم إلى هذه العلوم المادية المتغيرة ؟

بينما القرآن الكريم هو تلك الحقائق الإلهية العلوية المتنزلة من الذي يعلم السر وأخفى ! فلا يجب أن نقطع برأي في تفاصيل ما يعرض له القرآن الكريم من الكونيات ، إلا إن كان لنا عليه دليل وبرهان وإلا وجب أن نتوقف عن هذه التفاصيل ونكل علمها إلى العالم الخبير ، قائلين ما قالت الملائكة حين أظهر الله لهم على لسان آدم مالم يكونوا يحتسبون : ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾" [١] البقرة ٢ /٣٢

الوجه الرابع :سياسته في الإصلاح:

لقد انتهج القرآن الكريم طريقا عجيبا في إصلاحه ، وسلك سياسة حكيمة إلى ما أراد من هداية الخلق ، فتذرع بجميع الوسائل المؤدية إلى نجاح هذا الإصلاح بكل مايحتاج إليه البشر، مما يدل بوضوح على أن القرآن الكريم في سياسته هذه لا يمكن أن يصدرعن نفس محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره وبيان ذلك من وجوه :

" (أولها) نزول هذا الكتاب الكريم منجما [٢] ، ومخالفته بذلك سائر كتب الله تعالى السماوية تيسيرا لتلقيهم إياه وقبولهم ما جاء به .

(ثانيها) مجيء هذا الكتاب بأسلوبه البليغ الرصين المحبب إلى نفوسهم لاشتماله على سرصنعتهم ومدار تفوقهم ، حيث أنهم أرباب البلاغة والبيان فيكون هذا الأسلوب عامل جذب إلى الإقبال عليه والاستئناس بما جاء من

تعاليمه وإن كانت مخالفة لما مردوا عليه من قبل .

(ثالثها) مجيء هذا الكتاب على غير ما تعودوا عليه في تأليف القوانين والعلوم والفنون والآداب ، فأنت تجد في الغالب كل سورة من سور القرآن الكريم جامعة لمزيج من مقاصد وموضوعات ، يشعر الناظر فيها بمتعة ولذة ، كلما تنقل بين هذه المقاصد في السورة الواحدة ، كما يشعر الآكل باللذة والمتعة كلما وجد ألوانا شتى من الأطعمة على المائدة الواحدة .

(١) بتصريف يسير جدا من كتاب مناهل العرفان ج ٢ / ٣٥٣ : ٣٦٠

(٢) الْقُرْآن أنزلهُ منجما مفرقا والأشياء قسمهَا وَالصَّبِيّ أفزعه (المعجم الوسيط) المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة ج٢/٦٨٥

وهناك فائدتان للنمط الذي اختاره القرآن الكريم :

١- دفع السأم والملل عن الناظر في هذا الكتاب .

٢- انقياد النفوس إلى هداياته بلباقة من حيث لا تحس بغضاضة .

وانتظام الوحدة الفنية في السورة أو القطعة الواحدة

ووفاء القرآن الكريم بجميع الاصطلاحات البشرية .

(رابعا) قد يكررالقرآن الكريم ما يستحق التكرار من الأمور المهمة ، مثال ذلك تقرير القرآن الكريم لعقيدة التوحيد واستئصاله لشأفة الشرك ، بوساطة الحديث عنها مرارا وتكرارا : تارة يصرح وأخرى يلوح ، وتارة يوجز وأخرى يطنب ، وتارة يقرنها بالوعد وأخرى بالوعيد إلى غير ذلك.

(خامسا) مخاطبة العقول والأفكار ودعوته إلى إعمال النظر وطلب الدليل والبرهان ، فكثيرا ما نسمع قوله سبحانه وتعالى ﴿ أفلا يسمعون﴾ ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ ﴿ أنى يؤفكون﴾ ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ الغاشية ٨٨ / ١٧

وقوله تعالى : ﴿ قل أنظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ يونس ١٠ / ١٠١ إلى غير ذلك مما يرفع كرامة الإنسان ويحاكم أهم الأمور حتى العقيدة في الله إلى العقول ، ليصل المرء من وراء ذلك إلى اقتناع الضمير واطمئنان القلب وبرد اليقين وحرارة الإيمان .

(سادسا)تهذيب الغرائز النفسية تهذيبا صالحا بعد أن يصقلها بالدليل البرهان .نرى القرآن الكريم قد نأى عن الإقتداء بالأمثلة السيئة من الجهلة والفسقة ، وذهب إلى وجوب إتباع الأمثلة الطيبة والتأسي بمن ﴿ أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ النساء ٤/ ٦٩ ،﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ الأحزاب ٣٣/.٢١

وهكذا دخل القرآن الكريم على الناس من هذا الباب فقادهم من غرائزهم حتى ناط أوامره بمصالحهم ، ونواهيه بمفاسدهم ، وجعل ذلك قاعدة عامة قال فيها :﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ فصلت ٤١ / ٤٦ وقال تعالى ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ الإسراء ١٧ / ٧

(سابعا) ترتيب الأوامر والنواهي ترتيبا يسع جميع الناس على تفاوت استعدادهم

ومواهبهم .

فالأوامر الدينية درجات : هذا إيمان وهذا إسلام ، وهذا ركن ، وهذا فرض ، وهذا واجب ، وهذا مندوب مؤكد ، وهذا مندوب غير مؤكد .

والمناهي كذلك درجات :

هذا نفاق ، وهذا شرك ، وهذا كفر ، وهذه كبيرة ، وهذه صغيرة ، وهذا مكروه تحريما ، وهذا مكروه تنزيها ، وما وراء هذه الأوامر والنواهي فمباحات ، لكل أن يأخذ وأن يدع منها ما يشاء .

ولا ريب أن وضع التشريع على هذا الوجه فيه متسع للجميع وفيه إغراء للنفوس الضعيفة أن تتشرف باعتناق الإسلام ولو في أدنى درجة من درجاته .حتى إذا أنست به وذاقت حلاوته ، تدرجت في مدارج الرقي ، فمن إيمان إلى إسلام إلى أداء ركن إلى أداء فرض إلى أداء واجب إلى أداء مندوب مؤكد إلى أداء مندوب غير مؤكد ، ومن مجرد أداء للنوافل إلى الإكثار منها ، حتى يصل العبد إلى ذلك المقام الذي جاء فيه عن الله تعالى ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي لنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصربه ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه .))[1]

على ضوء هذه السياسة الشرعية الحكيمة التي نزل بها القرآن الكريم، كان صلى الله عليه وسلم يتدرج بالناس رويدا رويدا ، كما كان يتساهل معهم تأليفا لقلوبهم واستمالة لهم إلى اعتناق الدين الإسلامي ، ومثال ذلك ما يأتي :((ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن نصر ابن عاصم الليثي عن رجل منهم أنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم على أن يصلي صلاتين (لا خمسا) فقبل منه . وجاء في رواية أخرى : على ألا يصلي إلا صلاة واحدة فقبل منه)) ((وعن وهب قال : سألت جابرا عن شأن ثقيف إذ بايعت فقال : اشترطت على النبي صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك – سيتصدقون ويجاهدون – رواه أبو داود)) ((وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل أسلِم قال : أجدني كارها قال : أسلِم وإن كنت كارها .)) .

---

(١) الحديث ذكره الإمام النووي في كتابه (رياض الصالحين) ط / مؤسسة الرسالة بيروت ص١٣٩ في باب (علامات حب الله تعالى للعبد حديث رقم ١ /٣٨٦ وقال رواه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه

قال الشوكاني في نيل الأوطار بعد أن سرد هذه الأحاديث :(فيها دليل على انه يجوز مبايعة الكافر وقبول الإسلام منه وإن شرط شرطا باطلا) [1]

أما المعاملات فلم يستبصر الأمر فيها إلا بعد الهجرة وقل مثل ذلك في المنهيات ، ولعلك لم تنس التدرج الإلهي الحكيم في تحريم الخمر.

(تاسعا) جاء القرآن الكريم بمطالب الدنيا والآخرة معا ، وذلك بالتزام تعاليمه وهداياته ، واجتناب نواهيه

(عاشرها) مجيء القرآن الكريم بالتيسيرورفع الحرج عن الناس ﴿ و ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ الحج٢٢/ ٧٨

وهذا باب واسع وضع منه علماؤنا قواعد عامه كقولهم : المشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات ، ثم فرعوا عليها فروعا وسِعت ولا تزال تسع الناس أجمعين " [2]

الوجه الخامس أنباء الغيب فيه :

وبيان هذا أن القرآن الكريم اشتمل على أنباء كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد صلى الله عليه وسلم بها ، ولا سبيل لمثله أن يعلمها مما يدل دلالة بينة على أن هذا القرآن الكريم المشتمل على تلك الغيوب ، لا يعقل أن يكون نابعا من نفس محمد ولا غير محمد من الخلق بل هو كلام علام الغيوب وقيوم الوجود ،الذي يملك زمام العالم ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾ الأنعام/٦/ ٥٩

فمن ذلك قصص عن الماضي البعيد المتغلغل في أحشاء القدم ، وقصص عن الحاضر الذي لا سبيل لمحمد صلى الله عليه وسلم لرؤيته ومعرفته فضلا عن التحدث به ، وقصص عن المستقبل الغامض الذي انقطعت دونه الأسباب ، وقصرت عن إدراكه الفراسة والألمعية والذكاء.

وسر الإعجاز في ذلك كله أن هذه الأنباء كلها وقعت كما حدث وما تخلف خبر منها وجاء على النحو الذي أخبر به

وأنه إن أخبر عن غيب الماضي صدقه ما شهد به التاريخ .

---

(1) الأحاديث الثلاثة ذكرها الإمام الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار) كتاب الحدود – باب – صحة الإسلام مع الشرط الفاسد – الجزء السابع ص ١٩٩ . طبع ونشر مكتبة دار التراث ٢٢ ش الجمهورية – القاهرة .

(٢) بتصريف يسير جدا من كتاب مناهل العرفان ج ٢ / ٣٦١ : ٣٦٦

وإن أخبر عن غيب الحاضر صدقه ما جاء به الأنبياء

وإن أخبر عن غيب المستقبل صدقه ما تلده الليالي وما تجيء به الأيام .

غيب الماضي :

وغيوب الماضي في القرآن الكريم كثيرة ، تتمثل في تلك القصص الرائعة التي تحدث عنها التنزيل الحكيم ، ولم يكن لعلم محمد صلى الله عليه وسلم بها من سبيل .

" ففي قصة نوح –عليه السلام– أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا. وفي سفر التكوين من التوراة أنه عاش تسعمائة وخمسين سنة.

قال الله تعالى فيها : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ هود ١١ / ٤٩.

وترى في قصة أصحاب الكهف عند أهل الكتاب أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية. وفي القرآن أنهم لبثوا في كهفهم ﴿ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا ﴾ وهذا السنون التسع هي فرق مابين عدد السنين الشمسية والقمرية. قاله الزجاج يعني بتكميل الكسر. فانظر إلى هذا الحساب الدقيق في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب.

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم" [1]

ومنها قصة مريم وفيها يقول الله تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ آل عمران٣/٤٤ .

غيب الحاضر:

"وهو ما يتصل بالله تعالى والملائكة والجن والجنة والنار ونحو ذلك ، مما لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رؤيته ولا العلم به من سبيل

وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم

فمن ذلك ما فضح الله تعالى به المنافقين في أكثر من موقف كقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذ تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾البقرة ٢

---

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم المؤلف : محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ) اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م عدد الأجزاء : ١ج ١ /٦٦

/.٢٠٤وقوله تعالى في المسجد الضرار الذي بناه المنافقون ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ التوبة ٩ / ١٠٧، وسورة التوبة فيها من هذا النوع الكثيروالكثير" [١]

غيب المستقبل :

وأما غيب المستقبل فنمثل له على سبيل المثال :

ما تنبأ به القرآن الكريم بهزيمة المشركين وانتصار المسلمين وذلك في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ القمر٥٤ /٤٥.

فقد روى ابن أبي حاتم أن عمر رضي الله عنه قال: لما أنزلت﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ قلت أي جمع هذا ؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبيده السيف مصلتا وهو يقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[٢]

على هامش الوجه الخامس :

يشتمل هذا الوجه من الإعجاز على معجزات كثيرة ، لأن كل نبأ من أنباء الغيب يعد معجزة ، خاصة إذا كان الذي أتى بها رجل أمي ما قرأ وما كتب وما جلس في يوم من أيام حياته إلى معلم أو مؤدب ، وما اشتهر بين قومه إلا بمكارم الأخلاق وصفاء السريرة ، فما كان من مكرمة إلاوكان بالفضل يعلوها ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

إن أكثر ما روعهم وصدمهم صدمة أفقدتهم صوابهم حتى أضحوا من هولها يعمهون ، أن هذه الأنباء قاطبة لم تتخلف منها نبوءة واحدة ، بل وقعت كما أنبأ بها ، ولو تخلفت واحدة منها لوجدوا في ذلك بغيتهم ، ولقامت الدنيا وقعدت ، وطبل أعداؤه ورقصوا ، لكن شيئا من هذا لم يحدث بل على النقيض من ذلك ، فقد كان هو الذي يكذبهم فيما حرفوه ، ويرشدهم إلى حقيقة ما بدلوه ، ويتحداهم بما في أيديهم

---

(١) بتصريف يسير جدا من كتاب (مناهل العرفان) للإمام الزرقاني ج٢ /٣٦٨

(٢) رواه ابن أبى حاتم، والطبرانى فى الأوسط، وابن مردويه) [كنز العمال ٤٦٣٠]أخرجه الطبرانى فى الأوسط (١٤٥/٤، رقم ٣٨٢٩) جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)طبع على نفقة: د حسن عباس زكى عدد الأجزاء: ١٣ ج٢٨ / ٣٣٨

إذا جادلوه ، وإليك شاهدا على ذلك

" روى الواحدي عن الكلبي أنه حين قال النبي صلّى الله عليه وسلم: أنا على ملة إبراهيم قالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها ؟ فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : كان ذلك حلالا لإبراهيم عليه السلام فنحن نحله.

فقالت اليهود : كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا" (١) فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم

﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ آل عمران ٣ / ٩٣،٩٤ ، ٩٥.

الوجه السادس : آيات العتاب :

المتصفح لآيات الذكر الحكيم يجد بين دفتي المصحف آيات كثيرة قد سجلت بعض الأخطاء في الرأي على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل وجهت إليه عتابا نشعر بلطفه تارة وبعنفه أخرى ، ولا شك أبدا أن المنصف من القوم إذا ما علم هذا قال من فوره : لو كان هذا كلام محمد صلى الله عليه وسلم ما سجل على نفسه هذه الأخطاء

وخلاصة القول أن في هذا المقام أمور ثلاثة :

(أولها) أن هذه الأخطاء لم تكن من جنس الأخطاء التي يتردى فيها كثير

من ذوي النفوس الوضيعة ، كمخالفة أمر من الأوامر الإلهية الصريحة أو ارتكاب فعل من الأفعال القبيحة .

إنما كانت في أمور لم يكن فيها نص صريح ، فأعمل نظره وأجال فكره وبذل وسعه حسب طاقته البشرية ، ولكن على رغم من ذلك كله أخطأ (٢)

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس) ج ٢ / ٢١٩

(2) ومثال ذلك قضاؤه صلى الله عليه وسلم في مسألة الظهار لامرأة أوس بن الصامت فقد روي أنه قال لها: ما عندي في أمرك شيء. وروى أنه قال لها: حرمت عليه، فنزلت (سورة المجادلة) انظر (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤ ج ٤ / ٤٨٤

(ثانيها) أن الله تعالى لم يقر رسوله على خطأ أبدا ، لأن الأمة مأمورة من الله تعالى باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يقول ويفعل ، فلو أقره على خطأ أو سكت عنه ، لكان ذلك مدعاة إلى التشكك في ما يصدرعن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، لهذا كان الحكيم العليم لا يمكن أن يقر القدوة العظمى على خطأ أبدا [1] ، بل يبين له وجه الصواب ، وقد يكون مع هذا البيان لون من ألوان العتاب لطيفا أو عنيفا توجيها له وتكميلا ، لا عقوبة وتنكيلا .

(ثالثها) أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرجع إلى الصواب الذي أرشده إليه مولاه دون أن يبدي غضاضة ودون أن يكتم شيئا مما أوحي إليه من تسجيل الأخطاء عليه ، وتوجيه العتاب إليه

وفي ذلك دليل قاطع على عظمته وأمانته وعلى صدقه في كل ما يبلغ عن ربه ، وعلى أن القرآن الكريم ليس من تأليفه ووضعه ولكنه تنزيل العزيزالرحيم.

آيات العتاب نوعان :

إن العتاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم على نوعين ، نوع لطيف لين ونوع عنيف خشن ولنمثل لذلك بالمثال التالي :

---

(1) ومن ذلك أسرى بدر، أخذ فيهم (صلى الله عليه وسلم) رأى أبى بكر الصديق فى استحيائهم وقبول الفداء منهم، وكان عمر أشار عليه بقتلهم، وأشار عليه غيره بحرقهم استبلاغًا فيهم، فبات النبى يرى رأيه فى ذلك، وكانت أول وقعة أوقعها الله تعالى بالكفار، فأراد الله أن يكسر كيدهم بقتلهم، فعاتب النى (صلى الله عليه وسلم) وأنزل عليه: (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا (يعنى: الفدية،) والله يريد الآخرة (أى: إعلاء كلمته، وإظهار دينه بقتلهم. وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لو نزلت آية عذاب ما نجا منها إلا عمر) لأنهم طلبوا الفداء، وكانت الغنائم محرمة عليهم. وقال الطبرى: فى قوله (صلى الله عليه وسلم) : (لو نزلت آية عذاب ما نجا منها غير عمر) شرح صحيح البخارى لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ١٠ ج ٥ /١٧٥

مثال للعتاب اللين :

قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ [(١)] التوبة ٤٣/٩ .

مثال للعتاب الخشن:

قوله عزوجل ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة ﴾

عبس ٨٠ / ١ : ١١

" ذلك أن ابن أمّ مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام . والعباس بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف ، والوليد بن المغيرة :

يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم . فقال: يا رسول الله ، أقرئني وعلمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه ، وعبس وأعرض عنه ، فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول إذا رآه: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ، ويقول له : هل لك من حاجة [(٢)] "؟

هذا لون من ألوان العتاب الخشن شديد اللهجة يوضح فيه الحق جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه ما كان ينبغي له أن يُقبل على هؤلاء الصناديد وهم عنه معرضون ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ القصص ٥٦/٢٨ ولا إلى حد الإعراض العابس في وجه هذا الضعيف الأعمى الذي جاءك يستزيد مما علمتك إياه ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ النساء١١٣/٤من أجل ذلك كان هذا العتاب من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي رباه

---

(١) لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ بيان لما كنى عنه بالعفو. ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ من صدق في عذره ممن كذب فيه. وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله تعالى. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤ ج ١ /٤٣٣

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤ج٤ / ٧٠٠

وحفظه ورعاه ومن عليه بعطاياه فالمربَّى يبلغ القمة في التربية إنْ كان مَنْ ربَّاه عظيماً. لذلك يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ أدَّبني ربي فأحسن تأديبي ﴾ [1]

إذن: فمن عظمة الحق تبارك وتعالى أنْ يُعطي نموذجاً لدقّة تربيته تعالى ولعظمة تكوينه ، ولما يصنعه على(عَيْنه تعالى) بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكرمُ مخلوق مُربَّى في الأرض.

الوجه السابع ما نزل بعد طول انتظار :

في القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت ردا على أسئلة وجهت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستطع أن يرد عليها وذلك لعدم وجود نص من القرآن بشأنها ، فلو كان هذا القرآن من عنده – كما يدعي هؤلاء – لما وسعه جهدا أن يستحضر الإجابة خصوصا كرجل عظيم يتحدى قومه بل ويتحدى العالم بأسره ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :

" أن المشركين أعياهم أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بمكة فأرسلوا جماعة منهم إلى يثرب ، فَاعلَمَتْ جماعةً من رؤساء إليهود بقصة رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – فقالت اليهود : إنَّ اسمه عندنا مكتوب ، وأنه سيبعث على فترة مِنَ الرسلِ فسلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو رجل متقوِّل فأعملوا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ، فإنهم كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبيّ فاتبعوه.

فعادت الجماعة من المشركين إلى مكة وجمعوا جمعاً كثيراً وسألوا النبي – صلى الله عليه وسلم – عن هذه الأشياء . فأعلمهم أنه لا يعلمها، وأنه إن نزل عليه وحي بها أعلمهم ، وقال: سأخبركم بها ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عنه الوحي أياماً ونزلت: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾الكهف ٢٣/١٨

(١) عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله أحسن الناس خلقاً) كيف وقد قال «أدبني ربي فأحسن تأديبي» (متفق عليه) وعندهما من حديث البراء بن عازب «كان النبيّ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً» الحديث. (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ عدد الأجزاء: ٨ ج٥/ ٧٧

فأخبرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بما أوحى الله إليه وأنزله الله في كتابه مما دل على حقيقة نبوته"[1].

فإذا كان القرآن الكريم من عنده فكيف يعرض نفسه وشرف منزلته بين قومه لأن يتقولوا عليه ، وتصور معي هذا الموقف الذي تعرض له صلى الله عليه وسلم حين سألوه فقال لا أعلم ، أوحين رد عليهم بقوله : أجيبكم غدا ثم تمضي الأيام والليالي دون أن يجد لهذه الأسئلة إجابة ، أما كان حريا به – إذا كان القرآن من عنده كما يدعون – أن يجد إجابة يخرج بها من بين براثنهم وألسنتهم التي طبعت على الجدال والمراء ؟

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾الكهف١٨/٥

مثال آخر يشيب من هوله الولدان :

حادثة الإفك التي تهتز لها كافة النفوس المؤمنة ويتزلزل لها عرش الدولة الإسلامية بالمدينة وتصيب أعظم وأطهر نفس عرفتها البشرية في مقتل ،تلك الحادثة التي يفترى فيها على زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين كافة وأقرب وأحب شخصية إلى قلبه وابنة الرجل الثاني بالدولة وأقرب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يا لهول المصاب ووقعه على أطهر قلب عرفه التاريخ وأزكى نفس مشت على الأرض وأعظم الخلق حياءا وأعلاهم كعبا وشرفا ونبلا ، ومع ذلك لم يستطع صلى الله عليه وسلم أن يدفع عن نفسه وزوجه هذا الإفك حتى نزل القرآن يعلن براءة السيدة عائشة رضي الله عنها .[2]

الوجه الثامن :

مظهر النبي صلى الله عليه وسلم عند هبوط الوحي عليه :

" كان النبي صلى الله عليه وسلم في بدء نزول الوحي يتعجل نزوله ويحرك لسانه بالقرآن الكريم خشية النسيان أو الضياع ، وذلك من قبل أن ينتهي جبريل من إيحائه إليه ، وذلك للإسراع بحفظه والحرص على استظهاره حتى يبلغه الناس كما أنزل ، وكان عليه الصلاة والسلام يجد من ذلك شدة على نفسه فوق الشدة العظمى التي

---

(١) معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ عدد الأجزاء: ٥ ج٣ / ٢٦٩

(٢) انظر تفسير الشعراوي – الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم عام ١٩٩٧ م)عدد الأجزاء: ٢٠ ج١٦/ ١٠٢١٤

يحسها من نزول الوحي عليه حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، و جسده ليثقل بحيث يحس ثقله من بجواره ، ووجهه يحمر، ويسمع لشدته غطيط "[1]

روى مسلم ((أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه الشريف)) [2]

فكان من رحمة الله تعالى بنبيه ومصطفاه أن خفف عنه هذا العناء فأنزل عليه : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنا علينا بيانه ﴾ القيامة ٧٥ /١٦.

وبهذا اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسكن فؤاده وهدأت جوارحه حينما تكفل الله بجمع القرآن الكريم في صدره و قراءته على الناس كاملا لا تسقط منه كلمة ولا حرفا ، وأن يستطيع بذلك بيانه وتلاوته وتوضيح معناه فلا تخفى عليه خافية منه وكذلك قال الله تعالى ﴿ سنقرؤك فلا تنسى ﴾ الأعلى ٨٧ /٦.

وقال له مرة ثالثة﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما ﴾ طه ٢٠ /١١٤.

الوجه التاسع :آية المباهلة: [3]

حينما لاحت في الأفق أنباء الدعوة المحمدية وأشرقت شمس الإسلام تبدد ظلمات الشرك والوثنية ، والدعوة للتوحيد وإفراد الله تعالى بالعبودية والربوبية ونبذ ما خلا ذلك من عبادة غير الله ، أثارت تلك الدعوة علماء اليهود والنصارى من أهل الكتاب قال تعالى : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ﴾ البقرة٢/١٠٩ واستشاط نصارى نجران غضبا وأبوا إلا مواجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقوف على مدى صدقه من عدمه ، فقدموا المدينة وجعلوا يسألون ويستفتون الرسول في أمورالدين والرسالات السابقة ، وهو يجيبهم فعلموا يقينا بأنه هو النبي الذي نبـــأت به التوراة والإنجيل ، ولكنهم أبوا إلا التمسك بدينهم وذلك خشية زوال سلطانهم وفقدان هيبتهم ، فدعاهم النبي صلى الله

---

(١) بتصريف يسير جدا من كتاب مناهل العرفان للإما م الزرقاني ٢ / ٣٩٩

(2) رواه أحمد في مسنده ج٣٧/٣٧٦ وقال اسناده صـحيح علـى شـرط البخـاري – مسـند احمـد – تحقيـق/ شـعيب الأرناؤوط الناشر / مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢١ هـــ . ورواه البيهقـي في دلائـل النبـوة ٥٤/٧ ، والمنـاوي في فيض القدير ٥ /١١٠ .

(٣) باهل بعضهم بعضا : اجتمعوا فتداعوا فاستنزلوا لعنـة الله علـى الظـالم منـهم . وابتـهل إلى الله تضـرع واجتهـد في الدعاء . المعجم الوجيز ص٦٥ ط/ مجمع اللغة العربية

عليه وسلم إلى المباهلة ، فأبوا ذلك وخافوا نزول ساحة المساجلة والنزال ،

قال سبحانه وتعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ آل عمران ٣ /٦١

."وَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى وَفْدِ نَجْرَانَ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ قَالُوا: حَتَّى نَرْجِعَ وَنَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ثُمَّ نَأْتِيكَ غَدًا، فَخَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَالُوا لِلْعَاقِبِ وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ مَا تَرَى؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَاللَّهِ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ فَعَاشَ كَبِيرُهُمْ وَلَا نَبَتَ صَغِيرُهُمْ، وَلَئِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَنَهْلِكَنَّ فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ فَوَادِعُوا الرَّجُلَ وَانْصَرِفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ غَدَا مُحْتَضِنًا لِلْحُسَيْنِ آخِذًا بِيَدِ الْحَسَنِ وَفَاطِمَةُ تَمْشِي خَلْفَهُ وَعَلِيٌّ خَلْفَهَا وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: "إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا" فَقَالَ أُسْقُفُّ نَجْرَانَ: يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى إِنِّي لَأَرَى وُجُوهًا لَوْ سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُزِيلَ جَبَلًا مِنْ مَكَانِهِ لَأَزَالَهُ فَلَا تَبْتَهِلُوا فَتَهْلَكُوا وَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْكُمْ نَصْرَانِيٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالُوا يَا أَبَا الْقَاسِمِ: قَدْ رَأَيْنَا أَنْ لَا نباهلك وَأَنْ نَتْرُكَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَثْبُتَ عَلَى دِينِنَا، فَقَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِنْ أَبَيْتُمُ الْمُبَاهَلَةَ فَأَسْلِمُوا يَكُنْ لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ" فَأَبَوْا فَقَالَ: "فَإِنِّي أُنَابِذُكُمْ" فَقَالُوا: مَا لَنَا بِحَرْبِ الْعَرَبِ طَاقَةٌ، وَلَكِنَّا نُصَالِحُكَ عَلَى أَنْ لَا تَغْزُوَنَا وَلَا تُخِيفَنَا وَلَا تَرُدَّنَا عَنْ دِينِنَا عَلَى أَنْ نُؤَدِّيَ إِلَيْكَ كُلَّ عَامٍ أَلْفَيْ حُلَّةٍ أَلْفًا فِي صَفَرَ وَأَلْفًا فِي رَجَبٍ، فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ وَلَوْ تَلَاعَنُوا لَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ وَلَاضْطَرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَار وَلَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ نَجْرَانَ وَأَهْلَهُ حَتَّى الطَّيْرَ عَلَى الشَّجَرِ، وَلَمَا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ حَتَّى هَلَكُوا" [1]

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤ ج١ / ٣٦٨ – وقال أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة، من طريق محمد بن مروان السدى عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس بطوله وابن مروان متروك متهم بالكذب ثم أخرج أبو نعيم نحوه عن الشعبي مرسلا، وفيه «فان أبيتم المباهلة فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فان أبيتم فأعطونا الجزية، كما قال اللَّه تعالى. قالوا: ما نملك إلا أنفسنا قال: فان أبيتم فانى أنبذ إليكم على سواء، فقالوا: لا طاقة لنا بحرب العرب، ولكن نؤدي الجزية، فجعل عليهم في كل سنة ألفى حلة: ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، فقال صلى اللَّه عليه وسلم: لقد أتانى البشير بهلكة أهل نجران لو تموا على الملاعنة» رواه الطبري من طريق أبى إسحاق، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير في قوله: (إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ)

الوجه العاشر

عجز الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإتيان ببدل له :

قال تعالى : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي) يونس١٠/١٥ .

"فماكان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح؟ قلت: الكيد والمكر. أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن، ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله، فأبدل مكانه آخر، وأما اقتراح التبديل والتغيير، فللطمع ولاختبار الحال. وأنه إن وجد منه تبديل ، فإمّا أن يهلكه الله فيتخلصوا منه ، أو لا يهلكه فيسخروا منه ، ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله ". [١]

فلو كان هذا القرآن من كلامه فما الذي منعه من الإتيان بغيره ، أو تبديله

استرضاءا لهم ، وحينئذ يكتسب أنصارا إلى أنصاره ، ويضم أعوانا إلى أعوانه ، ويكون ذلك أروج لدعوته التي يحرص عليها وعلى نجاحها ، لكنه أعلن عجزه عن إجابة هذه المقترحات وأبدى مخاوفه إن هو أقدم على هذا الذي سألوه وتنصل من نسبة القرآن الكريم إليه – مع أنه الفخر كل الفخر– وألقمهم حجرا في أفواههم بتلك الحجة التي أقامها عليهم وهي أنه نشأ فيهم لا يعرف ولا يعرفون عنه ذلك الذي جاء به وهو القرآن الكريم [٢]

الوجه الحادي عشر

الآيات التي تجرد الرسول من نسبتها إليه :

أنك إذا قرأت القرآن الكريم وجدت آياته تجرد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من نسبتها إليه وتصفه بأنه كان قبل نزول القرآن لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان وتمتن عليه بأن الله قد آتاه الكتاب والحكمة بعد أن كان لا يعلم عنهما شيئا قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ الشورى٤٢ /٥٢.

فذكره مرسلا، وفي سنن أبي داود من حديث ابن عباس «صالح النبي صلى اللّه عليه وسلم أهل نجران على ألفى حلة النصف في صفر، والبقية في رجب يؤدونه إلى المسلمين، وعارية ثلاثين درعا وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم» وهو طرف من هذه القصة.

(١) المرجع السابق (الكشاف) ج ٢ / ٣٣٤

(٢) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) ج٢/ ٤٠٢

وقوله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ النساء ٤/ ١١٣

فالناظر في هذه الآيات يعلم بما لا يدع مجالا للشك أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعلم أن الله سيشرفه بالنبوة والرسالة ، وأنه سيلقي عليه هذا القول الثقيل قال تعالى : ﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ المزمل٧٣/٥

هذا القول الذي تنوء بحمله الجبال قال تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على

جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾الحشر٥٩/٢١

فبعد ما شرفه الله تعالى برسالته وأشرقت نفسه بنورها ، كان إذا فتر الوحي

عنه قليلا عراه من الحزن والوجيب وشدة التحرق والتشوق على فترته والتلهف على عودته ما جعله يمشي هائما حائرا لا يعلم أين السبيل والمقصد كل ذلك بين جبال مكة وشعابها حتى لقد كاد يتردى مرة من شاهق وهو يطلبه .

" فإن كان يطلب السؤدد ، فليس شيء أوجه له ولا أمجد من أن يكون هذا القرآن الكريم كلامه ، ولوكان كذلك لأثبت به ألوهيته بدلا من نبوته ، وإذا لكانت تلك الألوهية أبلغ في نجاح دعوته وأرجى في ترويج ديانته

لأن الناس تبهرهم الألوهية ، أكثر مما تبهرهم النبوة ،

ويشرفهم أن يكونوا أتباع إله أكثر من أن يشرفهم أنهم أتباع رسول لم يخرج ولن يخرج يوما من أرض العبودية ولم يرتق ولن يرتقي يوما إلى سماء الربوبية " [١]

الوجه الثاني عشر

تأثير القرآن الكريم ونجاحه :

إن القرآن الكريم بلغ في نجاحه مبلغا خرق به نواميس الكون ، وخرج على العادات التي امتزجت بدمائهم ، والتقاليد التي ألفوها ، والعقائد التي توارثوها وأخلاقهم التي نشأوا عليها وذلك لما تميز به سلطانه القاهر على النفوس وأحكامه النافذة المسيطرة على الميول والعواطف ، فأحدث بذلك

تغييرا مفاجئا لم يحدث في أي عهد من عهود التاريخ قديمه وحديثه .

---

(١) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) ج٢/ ٤٠٣ ، ٤٠٤

تأثيره في أعدائه :

إن العرب وهم ائمة البلاغة وصيارفة البيان وأرباب الكلمة ، وأساطين الفصاحة ، قد هالهم وجذبهم ، ما فاجأهم به القرآن الكريم من سحر بيانه ، وعذب منطقه ، ورصانة ألفاظه ، وروعة أسلوبه ، فكانت السبب في انجذابهم إليه ، ويتجلى ذلك واضحا فيما يلي :

" ويذكرَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي قِصَّةِ أَبِي جَهْلٍ حِينَ جَاءَ يَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ ، هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ صَخْر بن حَرْب ، والأخْنَس بْنُ شرِيْق، وَلَا يَشْعُرُ واحدٌ مِنْهُمْ بالْآخَرِ. فَاسْتَمَعُوهَا إِلَى الصَّبَاحِ ، فَلَمَّا هَجَم الصُّبْحُ تَفرَّقوا ، فَجَمَعَتْهُمُ الطَّرِيقُ ، فَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ لِلْآخَرِ: مَا جَاءَ بكَ؟ فَذَكَرَ لَهُ مَا جَاءَ لَهُ ثُمَّ تعَاهَدُوا أَلَّا يَعُودُوا ، لِمَا يَخَافُونَ مِنْ عِلْمِ شَبَاب قُرَيْش بهِمْ، لِئَلَّا يَفْتَتِنُوا بمَجيئِهِمْ فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ جَاءَ كُلٌّ مِنْهُمْ ظَنًا أَنَّ صَاحِبَيْهِ لَا يَجِيئَانِ ، لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعُهُودِ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا جَمَعَتْهُمُ الطَّرِيقُ ، فَتَلَاوَمُوا ، ثُمَّ تَعَاهَدُوا أَلَّا يَعُودُوا. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ جَاؤُوا أَيْضًا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَعَاهَدُوا أَلَّا يَعُودُوا لِمِثْلِهَا ثُمَّ تَفَرَّقُوا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيق أَخَذَ عَصَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: أَخبِرْني يَا أَبَا حَنْظَلة عَنْ رَأْيكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ سمعتَ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يُراد بهَا ، وَسَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا وَلَا مَا يُرَادُ بهَا. قَالَ الْأَخْنَسُ: وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتَ بِه. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَم ، مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: مَاذَا سَمِعْتُ؟ تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ: أَطْعَمُوا فأطعمنا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا ، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا ، حَتَّى إِذَا تجاثينا عَلَى الرُّكَب ، وَكُنَّا كَفَرَسي رهَان ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ! فَمَتَى نُدْرِكُ هَذِهِ؟ وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ وَتَرَكَهُ " (١)

تأثير القرآن الكريم في نفوس أوليائه :

إذا كان ما سبق ذكره من تأثير القرآن الكريم في أعدائه ، فكيف يكون تأثيره فيمن آمنوا به وتغلل بسويداء قلوبهم ، وأشرقت أرواحهم به ، وتأثرت به نفوسهم حتى امتزجت به ، فكان لذلك مظاهر منها :

---

(١) تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع

الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – عدد الأجزاء: ٨ ج ٣ /٢٥١

" (المظهر الأول) :.اقدامهم واقبالهم على هذا المنهل العذب الصافي والإعتراف منه كل قدر طاقته ، حفظا وتدبرا وتلاوة ، أثناء الصلاة أو في غيرها .

(المظهر الثاني) : قيامهم بتنفيذ كافة تعاليمه ، من أوامر ونواهي وغير ذلك ، وشدة تمسكهم بهداياته ، وترك كل ما يخالف تعاليمه .

(المظهر الثالث) : تفانيهم في نشر تعاليمه وهديه ، وبخاصة في الأمم والبلاد المفتوحة ، وإقبالهم الشديد عليه ، لما لمسوه فيه من روح الإصلاح

بكل أنواعه ، ولتعاليمه السمحه ، وإقراره لمبدأ العدل والمساواة بين البشر لا فرق بين جنس وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ". [1]

---

(1) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) ج٢/ ٤٠٦ : ٤١٢

الفصـــــــــل الثـــالـــــث عنـــوانـــه

دفـــاع الإمام الزرقاني عن القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الشبهات الواردة على تاريخ القرآن الكريم ودفعها

المبحث الثاني : رد الشبهات الأخرى وإبراز جهود الإمام الزرقاني

المبحث الأول :

الشبهات الواردة على تاريخ القرآن الكريم ودفعها

قال تعالى:﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ البقرة ٢/١٢٠

هذا ما أراده أهل الكتاب قديما وحديثا وأهل الضلال ، من الكيد للإسلام في كل عصر ومصر وهو النيل من الإسلام متمثلا في الطعن الموجه منهم على كتاب الله تعالى أو على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن هذه الطعون وهذه الشبهات أنهم قالوا ما يأتي :

١- " إن إعجاز القرآن الكريم للعرب لا يدل على أن القرآن الكريم كلام الله بل هو كلام محمد – صلى الله عليه وسلم – نسبه إلى ربه جل وعلا ، ليستمد قدسيته من هذه النسبة .

٢- إن إعجازه جاء من ناحية أن محمدا- صلى الله عليه وسلم – كان الفرد الكامل في قوة بيانه ومنطقه وبلاغته بين قومه ، لذلك لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله." [(١)]

الجواب عن هذه الشبه :

١- أن هذا الزعم الواهي وتلك الأباطيل وهذه الإدعاءات لا تنم أبدا إلا عن شخصية اعتراها الحقد واحتواها تبييت الكيد للإسلام ولقطبيه – القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وسلم – ولو أنهم تخلوا عن حقدهم الأعمى ونظروا بعين الإنصاف ، لعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه قومه أن يتخلى عن هذا الدين وله مايشاء إن أراد زعامة أو مالا أوكلمة عليا عليهم ، كان له ذلك ، ومع هذا رفض وأبى وقال لعمه ما يأتي :

((فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَمُّ ، وَاَللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشمسَ فِي يَمِينِي، والقمرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظهره اللَّهُ ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ . قَالَ : ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رسولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَبَكَى ثُمَّ قَامَ ؛ فَلَمَّا وَلَّى

---

(١) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) للزرقاني ج / ١ /٨٤ ، ٨٥

ناداه أبو طالب ، فقال : أقبلْ يابن أَخِي ؛ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى الله عليه وسلم– فقال: اذهبْ يابن أَخِي، فقلْ مَا أحببتَ ، فَوَاَللَّهِ لَا أسْلمك لشيء أبدًا)) [1]

٢– " إن القرآن الكريم لو كان مصدره محمد – صلى الله عليه وسلم– كما يقول أولئك الملا حدة ، لعلم هؤلاء العرب البارزين في علم البيان وصناعة الكلام أنه كلامه ، وذلك بما أوتوا من ملكة النقد ونباهة الحس وبراعة تذوق الكلمة ، لاسيما وأن القرآن الكريم قد تحداهم – وما زال – أن يأتوا بسورة من أقصر سوره أي بمثل ثلاث آيات قال تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾البقرة٢ /٢٣،٢٤

أضف إلى ذلك أنهم كانوا يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وما جلس في يوم ما من أيامه إلى معلم أو مؤدب فكيف يأتي بهذا القرآن الذي أخرس ألسنة الفصحاء من عنده ؟

إن القرآن الكريم لو كان مصدره محمد – صلى الله عليه وسلم – لكان من الفخر له أن ينسبه إلى نفسه ، ولأمكن أن يدعي به الألوهية فضلا عن النبوة ولكان مقدسا في نظر الناس وهو إله أكثر من قداسته في نظرهم وهو نبي"[2] قال تعالى : ﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾النساء٤ /٤٨

---

(١) الموسوعة القرآنية المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ)الناشر: مؤسسة سجل العرب الطبعة: ١٤٠٥ هـ ج ١ / ٤

(٢) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢ج ١ / ٨٦

الشبهات الواردة على أسلوب القرآن الكريم :

" قال الملاحدة : إن القرآن الكريم غير مرتب ولامنظم فلم يُفرد كل غرض من أغراضه بفصل أو بباب شأن الكتب المنظمة ، بل مزجت أغراضه مزجا غير مراع فيه نظام التأليف ، فيبعد بذلك أن يكون وحيا من الله تعالى :

الجواب على هذه الشبهة ما يأتي :

إن الناظر لأنظمة الكتب المؤلفة قديمة كانت أو حديثة يجد أنها قد أفردت لكل غرض من أغراض موضوعاتها بابا أو فصلا مراعية بذلك نظم التأليف التي من أجلها وضع الكتاب ، هذا النظام وإن كان يدل على مهارة التأليف وحسن التنظيم ، إلا أن كتاب الله قد خلا من هذا ، وذلك لشمول آيات القرآن الكريم ونزولها حسب مقتضيات الأحداث ، وعلاجها لوضع سائد أو دعوتها لفضيلة من الفضائل حيث أنه كتاب هداية وإرشاد ، وهذا أمر ملموس في كل سوره .

فتعتبر السورة الواحدة كمائدة حافلة بشتى أصناف الأطعمة يتناول الجائع منها ما يشتهيه وما تحتاجه نفسه

إذا هذا لا يعد عيبا فيه بل على العكس من ذلك يعد تفردا لم يسبقه كتاب آخر، وذلك لنسقه الباهر ونظمه المعجز الذي أخرس ألسنة الفصحاء وأعجز بلاغة البلغاء .

قال الإمام فخر الدين الرازي [1] في تفسيره لسورة البقرة ما نصه :

([1]) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل قرشي النسب أصله من بطبرستان ومولده في الري وإليها نسبته رحل إلى خوارزم وبلاد خراسان من تصانيفه (مفاتيح الغيب) الذي يعد من أعظم كتب التفسير ، وكتاب (معالم أصول الدين) ، وكتاب (وكتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)ولد سنة ٥٤٤ هجرية وتوفى سنة ٦٠٦ هجرية (الأعلام) لخير الدين محمود بن محمد الزريكلى الدمشقي المتوفى سنة ١٣٩٦ هجرية – طبع ونشر دار العلم للملايين جزء٦ صفحة ٣١٣

(ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها،علم أن القرآن الكريم كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا : إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور)" [1]

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج٧/ ١٠٦ سورة البقرة . المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠

بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) للإمام الزرقاني ج١ /٧٩

المبحث الثاني:

رد الشبهات الأخرى وإبراز جهود الإمام الزر قاني

دفع شبهة الإعجاز بالصرفة والرد عليها .

دفع شبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم من بحيرا الراهب.

دفع شبهة أنه نفسه صلى الله عليه وسلم هو منبع الوحي .

دفع شبهة أنه تعلم من ورقة بن نوفل .

دفع شبهة قياس القرآن الكريم على الكلام النبوي .

دفع اشتباههم أن أنباء الغيب وجه من وجوه إعجازه .

دفع شبهة أن علوم القرآن الكريم ومعارفه ليس وجها من أوجه الإعجاز .

الشبهة الأولى القول بالصرفة :[1]

" قَالَ بعض المعتزلة والقدرية : أَنَّ وَجْهَ الْإِعْجَازِ هو المنع من معارضة القرآن الكريم ، والصرفة عند التحدي بمثله. وأن المنع وَالصَّرْفَةَ هُوَ الْمُعْجَزَةُ دُونَ ذَاتِ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ أن الله تعالى صَرَفَ هِمَمَهُمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ تَحَدِّيهِمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ " [2]

كذلك فعل الذين من بعدهم ومن ذهب مذهبهم ومن سار على نهجهم فسولت لهم أنفسهم ألا يُعملوا فكرهم ، وحجروا على عقولهم أن تتفكر وتتدبر في آي الذكر الحكيم فلم يبصُروا أوجه الإعجاز التي لاحت في أفق التنزيل فيراها الضرير فما بالك بالبصير ؟ قال تعالى: ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾الحج٢٢/٤٦

" لذلك كان انصرا ف العرب عن معارضتهم للقرآن الكريم لم ينشأ من أن القرآن الكريم بلغ في بلاغته حد الإعجاز الذي لا تسمو إليه قدرة البشر عادة ، بل لواحد من الفروض الثلاثة الآتية :

الفرض الأول : أن بواعث هذه المعارضة ودواعيها لم تتوافر لديهم.

الفرض الثاني : أن صارفا إلهيا زهدهم في المعارضة فلم تتعلق بها إرادتهم ، ولم تنبعث إليها عزائمهم ، فكسلوا وقعدوا على رغم توافر البواعث والدواعي لديهم .

---

(1) الصَّرْفُ في الدَّراهِمِ: الفَضْلُ والزَيَادَةُ، ومنه الصَّيْرَفِيُّ والصَرّافُ. ولهدا صَرْفٌ على ذاك: أي فَضْلٌ. وصَرْف الدَّهْرِ: حَدَثُه. وصَرْفُ الكلمةِ: إجْراؤها بالتَنْوين. وقيل: تَزْيِيْنُها بالزِّيادَةِ فيها. وفي الحديث في قَوْلِه: " صَرْفٌ ولا عَدْلٌ " التَّطَوُّعُ، والعَدْلُ: الفَرِيْضَةُ. وقيل: الصرْفُ التَوْبَةُ. وأنْ تَصْرِفَ إنساناً عن وَجْهٍ تُرِيْدُه إلى مَصْرفٍ غَيْرِ ذلك. ومنه الصرْفَةُ والحِيْلَةُ، من قَوْلهم: إنه لَيَتَصرَّفُ أي يَحْتَالُ. ومنه: " فما تَسْتَطِيْعُونَ صَرْفاً ولا نَصْراً ". وقيل: هو الوَزْنُ ها هُنا. والتَّصْرِيفُ: اشْتِقاقُ الكلامِ بَعْضِه من بَعْضٍ. وتَصْرِيْفُ الرِّياحِ والسُّيُوْلِ والخُيُوْلِ: إجْرَاؤها من وَجْهٍ إلى وَجْهٍ.(المحيط في اللغة) المؤلف: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ) ج ٢/ ٢١٩

– (و الصرفة) وصرف الشيء صرفا : رده عن وجهه والمال أنفقه والنقد بمثله بدله (المعجم الوجيز ص٣٦٣) ط وزارة التربية والتعليم. ،(المعجم الوسيط ص ٥١٣ ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(2) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م عدد الأجزاء : ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات) ج ١ / ٧٥

الفرض الثالث : أن عارضا فاجأهم فعطل مواهبهم البيانية وعاق قدرتهم البلاغية ، وسلبهم القدرة على المعارضة على رغم تعلق إرادتهم بها وتوجه همتهم إليها ، و يُعزى هذا الرأي الأخير وهذه الشبهة إلى أبي إسحاق الإسفراييني [١] من أهل السنة ، والنظام [٢] من المعتزلة والمرتضى [٣] من الشيعة .

وإذا تأملنا هذه الفروض الثلاثة التي التمسوها ، علمنا أن عدم معارضة العرب للقرآن الكريم لم تأت من ناحية إعجازه البلاغي في زعمهم ، بل أتت على الفرْضيْن الأولَيْن من ناحية عدم اهتمام العرب بهذه المعارضة ولو أنهم أرادوها لنالوها ، ثم جاءت على الفرض الأخير من ناحية عجزهم عنها ؛ لكن بسبب خارجي عن أسلوب القرآن الكريم ، وهو وجود مانع منعهم منها قهرا ، ذلك المانع هو حماية الله تعالى لهذا الكتاب وحفظه إياه من معارضة المعارضين ، ولو أن هذا المانع زال لجاء العرب بمثله ؛ لأنه لا يعلو مستواهم في بلاغته ونظمه بل يكاد يكون مساويا لفصاحتهم وبلاغتهم .

ويرد على هذه الشبهة بما يأتي :

١- الفرض الأول : أن هذا الكلام غير صحيح فقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أنهم حاولوا الإتيان بشيء مثل القرآن ومن هؤلاء ، كذاب بني حنيفة — مسيلمة — فإنه تجاهل وتعامى ، واستكبر وتعاشى ، فحاول تكلُّف ما قد علم أنه عنه

([١]) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين نشأ في اسفرايين ورحل إلي خراسان والعراق وله كتاب (الجامع)في أصول الدين في خمس مجلدات ومناظرات مع المعتزلة مات في نيسابور ودفن في أسفرايين . وفيات الأعيان ٤/١، وشذرات الذهب ٣ /٢٠٩ وطبقات السبكي١١١/٣ ، الأعلام ١ / ٦١ لخير الدين الزر يكلي وقد سبق الترجمة له

([٢]) هو إبراهيم بن سيار أحد أئمة المعتزلة المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، الأعلام للزريكلي جزء ٨ / ٣٤ .

([٣]) علي بن الحسين بن موسي بن إبراهيم بن موسي بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي ٣٥٩ - ٤٠٦ هـ .(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) ج١٦ ص ٤٣٧ للإمام الذهبي تحقيق د / عمر عبد السلام تدمري .

عاجز ، ورام ما قد تيقن أنه عليه غير قادر. فأبدى من ضعف عقله ما كان مستترًا، ومن عِيّ لسانه ما كان مصُونًا ، فأتى بما لا يعجزُ عنه الضعيف الأخرق والجاهل الأحمق ، فقال: "والطاحنات طحنًا، والعاجنات عَجنًا، فالخابزات خبزًا، والثاردات ثَرْدًا، واللاقمات لَقْمًا"!
ونحو ذلك من الحماقات التي تشبه دعواه الكاذبة [1]

٢ – الفرض الثاني : فينقضه الواقع التاريخي أيضا ، ودليلنا على هذا ما تواترت به الأنباء من أن بواعث المعارضة قد وجدت سبيلها إلى نفوسهم ونالت منالها من عزائمهم ، فهبوا هبة رجل واحد يحاولون القضاء على دعوة القرآن الكريم بمختلف الوسائل وبذلوا في ذلك كل مرتخص وغال ، فلم يتركوا طريقا إلا سلكوه ، ولم يدعوا بابا إلا طرقوه . فلقد آذَوْه صلى الله عليه وسلم وآذوا أصحابه فسبوا من سبوا وعذبوا من عذبوا وقتلوا من قتلوا ، ولقد طلبوا إلى عمه أبي طالب أن يكفه وإلا نازلوه وإياه. [2]

٣– الفرض الثالث : فينقضه ما سجل التاريخ وأثبت التواتر من أن دواعي المعارضة كانت قائمة موفورة ودوافعها كانت ماثلة متآخذة ، وذلك لأدلة كثيرة منها

أن القرآن الكريم تحداهم – وما زال – غير مرة أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه ، ثم سجل العجز عليهم وقال بلغة واثقة إنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا ولن يفعلوا ولو ظاهرهم الإنس والجن فكيف لا تثور حميتهم إلى المعارضة بعد هذا ولو كانوا أجبن خلق الله ؟

إن العرب الذين تحداهم القرآن الكريم كانوا مضرب المثل في الحمية والأنفة وإباء الضيم ، فكيف لا يحركهم هذا التحدي والاستفزاز؟

إن صناعتهم كانت البيان وديدنهم التنافس في ميادين الكلام ، فكيف لا يطيرون بعد هذه الصيحة إلى حلبة المساجلة والنزال ؟

أن القرآن الكريم أقام حربا شعواء على أعز شيء لديهم وهي عقائدهم المتغلغلة

---

(١) تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤ ج ١ /١٠ (٢) انظر المبحث الأول من هذا الفصل (الشبهات الواردة على تاريخ الفرآن رقم ١) ص ١٢٥

(٢) انظر المبحث الأول من هذا الفصل (الشبهات الواردة على تاريخ الفرآن رقم ١) ص ١٢٥

فيهم وتقاليدهم المتمكنة منهم فأي شيء يلهب المشاعر ويحرك الهمم إلى المنازلة والمساجلة أكثر من هذا ؟

ما دامت هذه المساجلة هي السبيل الأمثل لإسكات خصمهم – لو استطاعوا –

أضف إلى ذلك ما كان يتمتع به هؤلاء من قوة في البلاغة والبيان والفصاحة ، فما رأينا في عصر من العصور على مر الزمان أن تقام سوق تعرض فيها الكلمة وذلك من خلال عرض قصائد هم الشعرية مثل ما صنعوا [1] ، وبعد مجيء الإسلام وتشبعهم بتعاليمه ، وانقيادهم التام لهديه ، امتزجت هذه الملكة بهدي القرآن وإعجازه، حتى خرجت إلى الناس في أزهى حلة ، وأحسن أسلوب ، وأجزل عبارة ، وحسبنا في ذلك ما رأيناه في شعر حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحه ، وكعب بن زهير بن أبي سلمى ، وعباس بن مرداس من شعراء صدر الإسلام ، وغيرهم كثير من شعراء العصر الأموي ، حتى بلغ منتهاه في العصر العباسي الأول ، إذا ثبت هذا فكيف يقال إن عارضا ما قد عطل مواهبهم البلاغية والبيانية عن معارضته ؟

﴿ ولكن المنافقين لا يعلمون﴾المنافقون ٨/٦٣

ثم ألم يكف هؤلاء شهادة أعداء القرآن الكريم أنفسهم في أوقات تخليهم عن عنادهم كتلك الشهادة التي خرجت من فم الوليد وصدق الشاعر حيث قال :

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

" ولقد عقب الإمام الزر قاني على هذه الشبهة بقوله : إني لأعجب من القول بالصرفة في ذاته ثم ليشتد عجبي وأسفي حين ينسب إلى ثلاثة من علماء المسلمين

---

(١) وعكاظ: نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال. وذو المجاز: خلف عرفة. ومجنة: بمر الظهران، قرب جبل يقال له الأصغر، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها. وهذه أسواق للعرب. وكان أهل الجاهلية يصبحون بعكاظ يوم هلال ذى القعدة، ثم يذهبون منه إلى مجنة بعد مضى عشرين يوما من ذى القعدة، فإذا رأوا هلال ذى الحجة ذهبوا من مجنة إلى ذى المجاز، فلبثوا به ثمان ليال، ثم يذهبون إلى عرفة. ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة، لما خرج الحرورى بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف خاف الناس أن ينتهبوا فتركت إلى ألان، ثم ترك ذو المجاز ومجنة بعد ذلك، واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة. (عن شرح القسطلاني) . (الجامع لأحكام القرآن) = تفسير القرطبي المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ عدد الأجزاء : ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات) ج٢ / ٤١٣

الذين نرجوهم للدفاع عن القرآن الكريم ونربأ بأمثالهم أن يثيروا هذه الشبهات في إعجاز القرآن الكريم . [١]

على أنني أشك كثيرا في نسبة هذه الآراء السقيمة إلى أعلام من علماء المسلمين ، ويبدو لي أن الطعن في نسبتها والقول بأنها مدسوسة من أعداء الإسلام عليهم أقرب إلى العقول ، وأقوى في الدليل لأن ظهور وجوه الإعجاز في القرآن الكريم من ناحية ، وعلم هؤلاء من ناحية أخرى ، قرينتان مانعتان من صحة عزو هذا الرأي الآثم إليهم .

ولقد عودنا أعداء الإسلام أن يفتروا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى أصحابه وعلى الأئمة والعلماء فلم لا يكون هذا منه" [٢] ؟

وإنني لأسلم تماما إلى ما ذهب إليه شيخنا الإمام الزرقاني في نفي الإعجاز بالصرفة
فهل بقي لأصحاب هذا القول جبين حتى يتصبب عرقا

الشبهة الثانية:

تمثلت هذه الشبهة في أن الملاحدة ادعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلتقي ببحيرا الراهب فيأخذ عنه ويتعلم منه ، وما هذه المعارف والعلوم التي في القرآن الكريم إلا نتيجة الأخذ عن بحيرا والتعلم منه لأنه كان من علماء أهل الكتاب.

الرد على هذه الشبهة من وجوه :

أولا : أن هذه الدعوة خلت من أي دليل إثبات ، وإلا فليخبرنا من عنده علم بهذا الأمر، فما الذي سمعه محمد صلى الله عليه وسلم من بحيرا الراهب ، ومتى كان ذلك وأين كان ؟

ثانيا : " إن كتب التاريخ قاطبة قد تحدثت عن أول لقاء حدث بين بحيرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك حين اصطحبه عمه أبو طالب في سفره إلى الشام للتجارة ، وكل ما هنالك أن بحيرا الراهب رأى سحابة تظلله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن ثم حذره عليه من اليهود ، وقد رجع به عمه خوفا عليه ولم يتم رحلته .

وفي المرة الثانية كان في تجارة لخديجة بنت خويلد ومعه غلامها ميسرة ، وفي هذه المرة لم يجاوز سوق بصرى ، ولم ير بحيرا ولم يسمعه .

---

(١) أراد بالثلاثة–أبو إسحق الإسفراييني، والنظام، والمرتضي، وسبق الترجمة لهم في المبحث الأول من التمهيد .

(٢) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان للإمام الزرقاني ج ٤١٤/٢ ،٤١٥ ، ٤١٦

ثالثا : إذا كان بحيرا هو مصدر تلك العلوم والمعارف الموجودة في القرآن ، لكان هو الأجدر بالنبوة والرسالة وأحق بالقرآن بدلا من التلميذ " [١]

رابعا : أن بحيرا هذا كم كان عدد تلامذته في حياته ؟ وكم كان عدد الذين التقى بهم وحدثهم عن الكتب السماوية وما جرى وما كان ؟ أفكلما جلس مع رجل أو تحدث معه خرج من عنده وقد اصطفاه الله على سائر الخلق وخصه بالرسالة ؛ إذا لكان هناك أكثر من نبي بل والعشرات من الأنبياء ، إن محمدا صلى الله عليه وسلم ما التقى ببحيرا إلا مصادفة وهو في طريقه إلى الشام للتجارة ، وكان صغيرا تابعا لعمه في المرة الأولى ، حاملا لأمانة ثقيلة في عنقه لابد أن يؤديها كاملة وهي أمانة العمل في مال خديجة وتجارتها في المرة الثانية .

خامسا :" أن هذه التهمة لو كان لها أدنى نصيب من الصحة ؛ لكان أول من تحدث بها قومه ولقاموا لها وقعدوا ولطبلوا وصفقوا بها فرحا لأنهم كانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته ، لكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة ؛ لأنهم حينما أرادوا طعنه بأنه تعلم القرآن الكريم من غيره وذلك في قوله تعالى ﴿ إنما يعلمه بشر﴾النحل ١٠٣/١٦ أرادوا بالبشر حدادا روميا منهمكا بين مطرقته وسندانه ، ضالا طوال يومه في خبث الحديد وناره ودخانه ، غير أنه

اجتمع فيه أمران لم يجتمعا في بحيرا وهما : أنه مقيم بمكة إقامة دائمة تيسر لمحمد صلى الله عليه وسلم الإتصال الدائم به ، والآخر أنه غريب عنهم وليس منهم ، وغاب عنهم أن هذا الحداد الرومي أعجمي لا يحسن العربية ، فكيف يكون مصدرا لهذا القرآن الكريم الذي هو أبلغ نصوص العربية بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية " [٢]

سادسا : أن هذه التهمة ليس لها أدنى درجة من درجات الصحة وذلك بالدليل القاطع والبرهان الساطع وهو أن بحيرا نفسه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم وذلك عند فتح خيبر : " (فقد ذكر الواقدي في كتابه أسباب النزول أن جَعْفَر بْن أَبِي طَالِبٍ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، بَعَثَهُمُ النَّجَاشِيُّ

وَفْدًا إِلَى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ ، اثْنَانِ وَسِتُّونَ

---

(١) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان للإمام الزرقاني ج ٢ / ٤٢١، ٤٢٢

(٢) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان للإمام الزرقاني ج ٢ / ٤٢٣

مِنَ الْحَبَشَةِ ، وَثَمَانيَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام، وَهُمْ: بَحِيرَا الرَّاهِبُ وَأَبْرَهَةُ ، وَإِدْرِيسُ ، وأشرف ، وتمام ، وقيتم ، وَدُرَيْدٌ وَأَيْمَنُ. فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم سُورَةَ يس إِلَى آخِرِهَا، فَبَكَوْا حِينَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ ، وَآمَنُوا وَقَالُوا : مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ قوله تعالى: (﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ... الْآيَةَ. ﴾" [1] المائدة ٥/٨٢،٨٣

(١) أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: كمال بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ عدد الأجزاء: ١ج١ / ٢٠٦ وقال أخرجه ابن جرير (٤/٧) وعبد بن حمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (فتح القدير: ٦٩/٢) عن سعيد بن جبير به، على اختلاف بينهم في العدد، وهو مرسل صحيح الإسناد، ومع أن هذا السبب ينص على أن الآية نازلة في وفد النجاشي والأوّل ينص على أنها نزلت فيه وفي حاشيته، فإن المعنى واحد فكلها يعضد بعضها بعضا، ولا عبرة بمحاولة الحافظ ابن كثير تضعيفها فأسانيدها صحيحة، والله أعلم (تفسير ابن كثير: ٨٥/٢) .

الشبهة الثالثة والرد عليها :

" قال الملاحدة : إننا نصدق محمد صلى الله عليه وسلم في إخباره عما رأى وسمع ، ولكنا نعتقد أن نفسه وروحه هي منبع هذه الأخبار ؛ لأن العلم لم يثبت أن هناك غيبا وراء المادة – المحسوس – يصح أن يتنزل منه قرآن أو يفيض عنه علم أو يأتي منه دين ،

ثم ضربوا لذلك مثلا فقالوا:

" لَقَدْ حَدَثَ بِفَرَنْسَا فِي الْقَرْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ إِذْ كَانَتْ مَقْهُورَةً لِلْإِنْكِلِيزِ أَ نَّ بِنْتًا تُدْعَى (جَانْ دَارْكْ) [١]

مَنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ سِيرَةً وَأَسْلَمِهِنَّ نِيَّةً اعْتَقَدَتْ وَهِيَ مِنْ بَيْتٍ أَهْلِهَا بَعِيدَةً عَنِ التَّكَالِيفِ السِّيَاسِيَّةِ أَنَّهَا مُرْسَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِإِنْقَاذِ وَطَنِهَا وَدَفْعِ الْعَدُوِّ عَنْهُ، وَصَارَتْ تَسْمَعُ صَوْتَ الْوَحْيِ فَأَخْلَصَتْ فِي الدَّعْوَةِ لِلْقِتَالِ، وَتَوَصَّلَتْ بِصِدْقِ إِرَادَتِهَا إِلَى رِئَاسَةِ جَيْشٍ صَغِيرٍ وَغَلَبَتْ بِهِ الْعَدُوَّ فِعْلًا، ثُمَّ مَاتَتْ غِبَّ نُصْرَتِهَا مَوْتَةَ الْأَبْطَالِ مِنَ الرِّجَالِ، إِذْ خَذَلَهَا قَوْمُهَا، وَوَقَعَتْ فِي يَدِ عَدُوِّهَا فَأَلْقَوْهَا فِي النَّارِ حَيَّةً، فَذَهَبَتْ تَارِكَةً فِي صَحَائِفِ التَّارِيخِ اسْمًا يَعْبَقُ نَشْرُهُ وَتَضُوعُ رَيَّاهُ، وَهِيَ الْآنَ مَوْضِعُ إِجْلَالِ الْقَوْمِ وَإِعْظَامِهِمْ، فَلَقَدْ تَيَسَّرَتْ لَهُمُ النَّهْضَةُ بَعْدَهَا وَجَرَوْا فِي الْعِلْمِ وَالرُّقِيِّ بَعِيدًا" [٢]

فرد الإمام الزرقاني على هذه الشبهة بقوله:

" وندفع هذه الشبهة بأمور:

أولها : أن القرآن الكريم خرق النواميس الكونية المعتادة ، وخرقه لها لايستطيعه إلا من قهر الكون ونواميسه ، وكان له السلطان المطلق على العالم وما فيه ، وهو الله وحده لا محمد ولا غير محمد صلوات الله وتسليماته عليه ،. ولأن الإنسان محدود القوى والمواهب ، فلا يستطيع أن يخرق النواميس الكونية العادية ، لا بالعقل الباطن

(١) ولدت عام ١٤١٢ م شمال شرقي فرنسا بمدينة دوم ريمي وتوفيت عام ١٤٣١ وعمرها ١٩ عام ودفنت بمدينة رووني . (الموسوعة العربية الميسرة) لجون أمبروز فلمنج طبعة ١٩٦٥ ،(مترجم) .

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءا ج١١/ ١٣٦

ولا الظاهر، لا بالوحي النفسي ولا الانفعال العصبي .

ثانيها : إن الدارس لتاريخ هذه الفتاة ، يعلم أن أعصابها كانت ثائرة لتلك الانقسامات الداخلية التي مزقت فرنسا آنذاك والتي كانت تراها وتسمعها كل يوم بين أهلها وفي بلدها مع ما شاع في عهدها من خرافات كان لها أثر بالغ على حالتها النفسية انعكس على عقلها ووجدانها ، من تلك الخرافات أن عذراء ستبعث في هذا الزمن تخلص فرنسا من عدوها .

ثالثها : إن تلك الفتاة لم تأت ولا بدليل واحد معقول على صدق أوهامها وتخيلاتها التي تزعمها وحيا وحديثا من الله إليها ، لكن محمدا صلى الله عليه وسلم له على وحيه الذي يدعيه ألف دليل ودليل ، كما سبق بيانه فأين الثرى من الثريا ؟ وأين الظلام من النور ؟

رابعها : إن هذه الفتاة الهائجة الثائرة لم تكن صاحبة دعوة إلى إصلاح ولا ذات أثر باق في التاريخ ؛ إنما كانت صاحبة سيف ومسعرة حرب في فترة من الزمن وهو الدفاع عن النفس والوطن بمقضتى غريزة حب البقاء ، ثم لم تلبث جذوتها أن بردت وحماستها أن خمدت.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر [1]

إذا فليس هناك أدنى تشابه بين ما قامت به تلك الفتاة الثائرة التي رأت الظلم البين الذي وقع عليها وعلى قومها ، فقامت تزكي فيهم نار الحرب والأخذ بالثأر ممن اعتدوا على وطنها وقومها ، فهبوا من سباتهم واستيقظوا من نومهم فحرروا بلادهم من الطغاة المعتدين وأضحت فرنسا بعدها قد تخلصت من عدوها ، فكانت مثار إعجاب من كافة رجال فرنسا عامة ، ورجال الدين خاصة هذا ما حدث .

فأين هذه الأحداث من أعظم مخلوق لأ فضل أمة بخير دستور إلهي وأثره الخالد في إصلاح أديان البشر وشرائعهم وأخلاقهم ، وفي إنقاذ الإنسانية العانية وتجديد دمها بدينه الجديد الذي صحح به أوضاع الدنيا "[2]

---

(1) (عمرو بن الحارث بن مضاض الجر همي من ملوك قحطان في الحجاز في العصر الجاهلي القديم) وهذا البيت من قصيدة رائعة له في الحنين لمكة بعدما طردهم قبيلة خزاعة منها، (المفصل في تاريخ العرب) ٤ أجزاء للدكتور: جواد علي ابتدأها بقوله :
وقائلة والدمع سكب مبادر-------- وقد شرقت بالدمع منها المحاجر (الأعلام للزريكلي ج٥ /٧٥

(٢) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان للإمام الزرقاني ج ٢ / ٤٢٤ ، ٤٢٥

﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ ؟ الأنعام ٦/ ١٢٢.

الشبهة الرابعة:

افترى بعض الحاقدين على الإسلام وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقالوا ؛ إن ورقة ابن نوفل كان المنبع والمورد العذب الذي اخذ منه محمد صلى الله عليه وسلم واستقى منه القرآن ، وكان لا يبخل عنه لأنه ابن عم خديجة زوج محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ولأنه كان ممن يجيدون العبرية وقد قرأ ودرس التوراة والإنجيل .

وندحض هذه الشبهة بالآتي :

" قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق حَدَّثَنَا مَعْمَر عَن الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فيتحنث فِيهِ– وَهُوَ التَّعَبُّدُ– اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فيتزود لمثلها حتى فاجأه الوحي وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ مَا أَنَا بقَارِئ– قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بقَارِئ ، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بقَارِئ ، فَغطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ– حَتَّى بَلَغَ– مَا لَمْ يَعْلَمْ قَالَ: فَرَجَعَ بهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ ما لي؟ وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي .

فقالت له: كلا أبشر فوالله لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبَ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْن قُصَيٍّ وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ قد تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ ، وَكَتَبَ بالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُكْتَبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَي ابْنَ عَمٍّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ وَرَقَةُ : ابْنَ أَخِي مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزلَ على موسى ، ليتني فيها جذعا ليتني أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أو مخرجي هُمْ ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ [1] وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كي يتردى من رؤوس شَوَاهِقِ الْجِبَال، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ بِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ الْجَبَلِ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ له مثل ذَلِكَ " [2]

الملاحظ في هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم حبب إليه العزلة والإنفراد ، فإذا كان ورقة بن نوفل منبع هذا الوحي فلماذا تمنى أن يكون جنديا

وتلميذا من تلامذته يأتمر بأمره وينصره نصرا عزيزا ويبذل في ذلك كل غال.

وإنني أؤيد الإمام الزرقاني في رده على هذه الشبهة لما يأتي :

" أولا :

إن في القرآن الكريم آيات لا توافق عقيدة المسيحية فكيف يكتبها ورقة ؟ فعلى سبيل المثال إذا كان القرآن الكريم مصدره ورقة وورقة شخص نصراني فكيف ينكر القرآن الكريم صلب المسيح ؟

ثانيا :

نقول لهؤلاء الملاحدة إذا كان ورقة هو مصدر هذا القرآن الكريم المعجز، فماذا عن مصدر تلك المعجزات الحسية التي حدثت على يديه صلى الله عليه وسلم أمام قومه ، ودون أن يكون ورقة على قيد الحياة ؟

---

(١) هذا الحديث أخرجه الشيخان وأحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها ورواه ابن حجر- في الفتح باب بدء الوحي- ج١ ص ٥٢ قال روي البخاري في صحيحه عن يحيي بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها- باب أول ما بذيء به رسول الله صلي الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة)

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ ج ٨ / ٤٢١

ثالثا :

لم يعاصر ورقة التسلسل الزمني للأحداث الواردة في القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة من نزوله ، إذ أنه قد توفى في أول البعثة ، فأين ورقة من

سؤال يسأله المشركون أو اليهود (١) أو غيرهم للرسول صلى الله عليه وسلم

وذلك على سبيل التعجيز، فنرى الإجابة قد جاء ت في حينها وجاء القرآن الكريم يشرحها ويحدد موقفه منها كقوله تعالى ﴿ يسألك أهل الكتاب أن

تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ النساء٤/١٥٣

رابعا – أن لقاء ورقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ما كان إلا برهة من الزمن ، دار فيه استفسار من ورقة والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبه ، ثم مات بعدها ورقة بفترة قصيرة ، فهل يصدق من في رأسه عقل أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد ادعى خبر النبوة والقرآن الكريم في هذا اللقاء السريع الخاطف ؟ " (٢).

ثم أين ورقة من أحداث تمت بعد وفاته وقد تحدث عنها القرآن الكريم فليخبرنا هؤلاء المفترون هل عاصر ورقة غزوة الأحزاب التي تحدث عنها القرآن الكريم ؟ (٣)

هل عاصر ورقة يوم حنين الذي تحدث عنها القرآن؟ (٤)

---

(١) وذلك أنَّ قُرَيْشًا بَعَثُواالنضر بن الحارث وَبَعَثُوا مَعَهُ عُقبةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ وَقَالُوا لَهُمَا سَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفَتِهِ وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَسَأَلُوا أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَنْ أَحْوَالِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَإِنَّ حَدِيثَهُمْ عَجَبٌ، وَعَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، مَا كَانَ نَبَؤُهُ، وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَمَا هُوَ؟ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ فَهُوَ نَبِيٌّ وَإِلَّا فَهُوَ مُتَقَوِّلٌ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّضْرُ وَصَاحِبُهُ مَكَّةَ قَالَا: قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَأَخْبَرُوا بما قاله اليهود فجاؤوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَأَلُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا» وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَذْكُرُونَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ بِهِ، وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً فَشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ ج٢١ / ٤٢

(٢) بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان للإمام الزرقاني ج ٢ /٤٢٧ ، ٤٢٨

(٣) غزوة الأحزاب في شوال سنة خمس من الهجرة ، وتسمي بالخندق لقيام الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه بحفر خندق حول المدينة لحمايتها وحمايتهم والذي أشار بذلك سلمان الفارسي ، كذا رواه ابن هشام في سيرته ج٣ ص ٢٥٨ ، وابن كثير في (البداية والنهاية) ج٢ ص ٥١٢ : ٥١٣ طبع ونشر / دار الغد العربي العباسية القاهرة .

(٤) وتسمي بغزوة هوازن وكانت في الخامس من شوال سنة ٨هـ (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير ٢ / ٧٨١

هل عاصر قصة زيد بن حارثة الذي تحدث عنها القرآن الكريم ؟ [١]

هل عاصر ورقة حادثة الإفك التي تحدث عنها القرآن الكريم؟

هل عاصر ورقة قدوم وفد نصارى نجران والدعوة للمباهلة ؟

وصدق الله تعالى إذ يقول في كتابه العزيز ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا ﴾

الفرقان٢٥/ ٤،٥،٦

فأصحاب هذه الشبهة لم يكن هدفهم فقط أن يثبتوا أن النبي صـــلى الله عليه وســـــلم أخذ عن ورقة [٢] وإنما كان هدفهم الأخطرمن هذا أنه تعـــلم من غيره .

ومن أعظم ما قرأت بعد البحث والإطلاع حول هذه الشبهة ما قاله الأستاذ الدكتور عبدا لصبور مرزوق [٣]

وهو يرد على هذه الشبهة فيقول :

وهي من أسوء المفتريات على محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال ربه عز وجل عنه : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾

النجم ٥٣/ ٣ ، ٤ .

لكن الحق حين يتمكن من قلوب الحاقدين يدفعهم إلى المنكر من القول

ومن الزور، حتى أنهم ليتجرءون على قول لا يقبله عقل عاقل ولا يجرؤ على مثله إلا

---

[١] زيد بن شراحيل (أو شرحبيل) الكلبي الصحابي اختطف في الجاهلية صغيرا واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم حين تزوجها فتبناه قبل الإسلام وأعتقه وزوجه بنت عمته وكان الناس يلقبونه بزيدبن محمد حتى نزلت آية (ادعوهم آبائهم) من سورة الأحزاب وهو من أقدم الصحابة إسلاما وكان النبي صلى الله عليه وسلم لايبعثه في سرية إلا أمره عليها وكان يحبه ويقدمه استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨ هـــ .(الأعلام) للزريكلي ج٣ /٥٧

[٢] هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى من قريش حكيم جاهلي اعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع من أكل ذبائحها وتنصر وقرأ كتب الأديان وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني أدرك أوائل النبوة ولم يدرك الدعوةوهو ابن عم خديجة أم المؤمنين توفي نحو ١٢ قبل الهجرة – نحو ٦١١م الأعلام للزريكلي ج٨ /١١٥ ، الروض الأنف للسهيلي ج١/١٢٤،

(٣) الدكتور عبد الصبور مرزوق ولد بقرية بي العرب مركز الباجور بالمنوفية سنة ١٩٢٤ م التحق بالأزهر ثم بكلية دار العلوم وتخرج منها عام١٩٤٨ م وعمل مذيعا بالإذاعة المصرية وحصل علي الماجستير ثم الدكتوراه في موضوع (أدب ثورة ١٩١٩في مصر) وعمل بالتدريس في كلية دار العلوم له مؤلفات كثيرة منها (الإسلام والقرآن) ، (معجم الأعلام والموضوعات في القرآن) ، (نساء ورجال تحدث عنهم القرآن) شغل عدة مناصب منها عضو مجمع البحوث الإسلامية وغيرها كثير توفي في ٢٢ يناير سنة ٢٠٠٨ م

المفترون .

الشبهة الخامسة والرد عليها :

قياس القرآن الكريم على الحديث النبوي الشريف :

" قال أعداء الإسلام : إن عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم ، ما هو إلا نظير عجزهم عن الإتيان بمثل الكلام النبوي ، إذن فلا عبرة أن يتجه القول بقدسية القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى ، كما لا يتجه القول بقدسية الحديث النبوي وأنه كلام الله تعالى .

يقول الإمام الزر قاني وندحض هذه الشبهة بالأتي :

(أولا) : أننا نجد تشابها بين كلام النبوة وكلام بعض الخواص من الصحابة والتابعين ، حتى لقد سمعنا الحديث فيشتبه علينا أمره أهو مرفوع ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو موقوف عند الصحابي ؟

ومن أوتي حاسة بيانية يدرك هذا الشبه كثيرا كلما كان صاحب البيان المشابه تصله بالرسول صلى الله عليه وسلم صلات قوية ، كتلك الصلات التي توافرت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى مسحت بيانه مسحة [1] نبوية ، وجعلت نَفَسه في الكلام من أشبه الأنفاس بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يكن أشبهها

أما القرآن الكريم ، فلن تستطيع أن تجد له شبيها أو ندا ، لأن الذي صنعه على عينه لا تستطيع أن تجد له شبيها أو مثيلا.

فكيف يقارن القرآن الكريم بالحديث في هذا المقام ؟

(ثانيا) أن القرآن الكريم لو كان كلام محمد كالحديث الشريف ، لكان أسلوبهما واحد ، لأنهما صادران عن شخص واحد استعداده واحد ومزاجه واحد ، لكن الواقع غير ذلك ، فأسلوب القرآن الكريم ضرب وحده ، تظهر عليه سمات الألوهيه التي تجل عن المشابهة والمماثلة.

وأسلوب الحديث النبوي ضرب آخر لا يجل – يعظم– عن المشابهة والمماثلة بل هو يعلو أساليب الناس في جملته ، ولا يستطيع بحال أن يرتقي إلى سماء إعجاز القرآن

([1]) المسحة يقال : عليه أوبه مسحة من جمال أو هزال : شيء منه . المعجم الوجيز ص ٥٨١ .وبتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) ج ٢ ص ٤٣١ ط المطبعة الفنية بالقاهرة

الكريم ، وذلك إن افترضت أنه عليه الصلاة والسلام كان له أسلوبان مختلفان أحدهما يحضره ويتعمل له وهو ماسماه بالقرآن ، والآخر يرسله ولا يحضِّره وهوما سمي بالحديث

(ثالثا) : أن الحديث النبوي إن عجز عامة الناس عن الإتيان بمثله ، فلن يعجز أحد خاصتهم عن الإتيان ولو بمقدار سطر واحد منه ، أوما يشابهه ، حتى ولو اجتمع ما عليها من الثقلين([1])

وإنما قلنا إن الحديث النبوي الشريف لا يعجز بعض الخواص الممتازين أن يأتي بمثله لأن التفاوت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغاء العرب كالتفاوت بين البليغ والأبلغ والفصيح والأفصح ، وليس هذا التفاوت بالأمر الشاذ الخارق للنواميس العادية البشرية جملة ، بحيث تنقطع الصلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر البلغاء جميعا لاختصاصه من بينهم بفطرة شاذة ، لا تمت إلى سائر الفطر بنسب ، إلا كما ينتسب النقيض إلى النقيض والضد إلى الضد كلا بل إن هذا القول باطل من وجهين :

(أحدهما) أنه يخالف المعقول والمشاهد لما هو معروف من أن الطبيعة الإنسانية العامة واحدة ، ومن أن الطبائع الشخصية يقع بينها التشابه والتماثل في شيء أو أشياء ، في واحد أو أكثر، في زمن قريب أو أزمنة متطاولة ، في كل فنون الكلام أو في بعض فنونه .

(والآخر) أنه يخالف المنقول في الكتاب والسنة من أن البشرية قدر مشترك بين الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع آحاد الأمة ، ولا ريب أن لهذه البشرية المشتركة وجه شبه يؤدي لا محالة إلى المماثلة بين كلامه وكلام من تجمعه بهم رابطة أو روابط خاصة ، أليس الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يقول في حديثه الشريف:((إنما

([2]) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) ج ٢ ج٢ ص ٤٣٠

أنا بشر وإنكم تختصمون إلي))[1] ويقول لرجل رآه فامتلأ منه فَرقا ورعبا ((هون عليك فإنني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)) "[2]

الشبهة السادسة ودفعها:

اشتباههم أن أنباء الغيب من وجوه الإعجاز:

" قال أعداء الإسلام : إن أنباء القرآن الكريم الغيبية لا تستقيم أن تكون وجها من وجوه الإعجاز الدالة على أنه كلام الله تعالى ، بل هو كلام محمد استقى أنباءه من أهل الكتاب في الشام أو رمى فيه الكلام على عواهنه فصاد ف الحقيقة اتفاقا ، أو استنبط الأنباء برأيه استنباطا ثم نسبها إلى الله تعالى .

ثم بدأ الإمام الزر قاني يدحض هذه الشبهة بأسلوب عقلي علمي هادئ يتسم بالفهم والحكمة والذكاء دون عصبية عمياء خالية من الرد العلمي فقال:

وندفع هذه الشبهة بما يأتي :

(أولا) : إن أكثر أنباء الغيب في القرآن الكريم لم يكن لأهل الكتاب علم بها على عهده ، وأنه صحح أغلاطهم في كثير من هذه الأنباء فليس بمعقول أن يأخذها عنهم وهو الذي صححها لهم

(ثانيا) : إن أهل الكتاب في زمانه كانوا أبخل الناس بما في أيديهم من علم الكتاب ، أضف الى ذلك أن كثيرا من أهل الكتاب آمنوا بهذا القرآن ثم لم تلبث كافة القبائل العربية أن دخلت في الإسلام عن طواعية دون إكراه.

(ثالثا) : أنه لو كان يرجم بالغيب جزافا من غير حجة ، إذا لاستحال أن يتحقق كل ما جاء به مع هذه الكثرة ، بل كان يخطئ ولو مرة واحدة إما في غيب الماضي ، أو الحاضر، أو المستقبل ، لكنه لم يخطئ في واحدة منها على كثرتها وتنوعها.

(رابعا **)** : أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان رجلا عظيما بشهادة هؤلاء الطاعنين ،

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات باب من أقام البينة بعد اليمين – حديث رقم ٢٦٨٠ ج ٣ /١٨٠ ومسلم في كتاب الأ قضية – باب الحكم بالظاهر ج٣ / ١٣٣٧

([2]) أخرجه الماوردي في (أعلام النبوة) – باب حلمه ووقاره وتواضعه ح ٢٢١/١ الناشر / دار مكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩ هـ . بتصريف يسير من كتاب مناهل العرفان للإمام الزر قاني ج ٢ /٤٣٠ ، ٤٣١

وصاحب هذه العظمة البشرية يستحيل أن يكون ممن يرمي الكلام على عواهنه [1]

خصوصا أنه رجل مسؤول في موقف الخصومة بينه وبين أعداء ألداء ، فما يكون له أن يرجم بالغيب ويقامر بنفسه وبدعوته وهو لا يضمن الأيام وما تأتي به مما ليس في الحسبان .

(خامسا) : أن هذه الأنباء الغيبية ليست في كثرتها مما يصلح أن يكون مجالا للرأي ، ثم إن ما يصلح أن يكون مجالا للرأي أخبر محمد صلى الله عليه وسلم في بعضه بغير ما يقضي به ظاهر الرأي والاجتهاد ، ثم بين أنه ضرب لذلك مثالا بنبوءة انتصار الروم على الفرس ، وانتصار المسلمين على المشركين في وقت لم تتوافر فيه عوامل هذا الانتصار". [2]

---

(١) العواهن – جمع عاهن وهي عروق في رحم الناقة – ورمى الكلام على عواهنه إذا لم يبال أصاب أم أخطأ . (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) باب عهن ج٦ /٢١٦٩ لأبي نصر الفارابي – تحقيق /أحمد عبد الغفور عطار – الناشر /دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء ٦ .

(٢) بتصرف يسير من كتاب مناهل العرفان للإمام الزرقاني ج ٢ / ٤٣٣

الشبهة السابعة :

علوم القرآن الكريم ومعارفه ليست وجها من أوجه الإعجاز :

"قال الملاحدة : إن ما يذكره المسلمون من معارف القرآن الكريم وتشريعاته الكاملة لا يستقيم أن يكون وجهاً من وجوه الإعجاز.

فإن (سولون اليوناني) [1] وضع وحده قانونا شافيا كافيا كان موضع التقدير والإجلال والطاعة ، وما قال أحد أنه نبي " [2]

وندفع هذه الشبهة بما يأتي :

" (أولا) : بأن الفروق شاسعة بين ما جاء به القرآن الكريم وما جاء به هذا القانون السولوني اليوناني ، ونحن نتحداهم أن يثبتوا لنا وفاءه بكافة ضروب الإصلاح البشري.

(ثانيا) : أن الفرق بعيد بين ظروف محمد صلى الله عليه وسلم – الرجل الأمي الذي لم يتقلد أي أعمال عسكرية ، والتي جاء فيها بالقرآن الكريم ، وظروف سولون التي وضع فيها القانون ؛ فمحمد كان أميا نشأ في الأميين ، أما سولون فكان فيلسوفا نشأ بين فلاسفة ومتعلمين بل هو أحد الفلاسفة السبعة الذين كان يشار إليهم بالبنان في القرن السابع قبل الميلاد المسيحي.

ومحمد قبل القرآن الكريم حبب إليه الخلوة والعزلة ؛ أما سولون فقد تولى قبل وضعه القانون أعمالا إدارية وعسكرية وانتخب في عام٥٩٤ق– م (أرجونا)[3] فوضع لهم نظاما جديدا أقرته الأمة وعُمل به عشر سنين فقط .

إذا هل يجوز حتى في عقول المغفلين أن تقام موازنة ويصاغ قياس مع هذه الاختلافات الهائلة بين محمد الأمي الناشئ في الأميين ، وسولون الحاكم والقائد والزعيم والفيلسوف الناشئ في أمة من أمم الحكمة والحضارة ؟

---

(١) سولون شاعر ورجل قانون أثيني وأحد حكماء الإغريق السبعة قام بسن مجموعة من القوانين الإصلاحية والتي تعارضت مع نظام الدولة المتبع آنذاك ورغم أن إصلاحاته فشلت فيما بعد إلا أنها تعتبر الممهد لقيام ما تم تسميته فيما بعد بالنظام الأثيني الديمقراطي ٦٣٨ ق.م ٥٥٨ ق.م – أنظر (اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري) للطفي عبد الوهاب يحيى.

(٢) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) ج ٢ /٤٣٣

(٣) الأرجون – رئيس الأمة بجميع أحزابها وطوائفها وله السلطة المطلقة لتغيير ما شاء من نظم البلاد وقوانينها

(انظر مناهل العرفان) ج ٢ / ٤٣٤

(ثالثا) : أين هذا القانون الذي وضعه سولون ؟

وما قيمة نجاحه ، بجانب قانون القرآن الكريم الجامع ودستوره الخالد وأثره البارز ونجاحه المعجز.

ثم ما قيمة قانون وضع تحت تأثير تلك الظروف ومات وأصبح في خبر كان ، بجانب قانون القرآن الكريم الذي جاء في ظروف مضادة جعلته معجزة بل معجزات ثم حي حياة دائمة لا مؤقتة ، ولا يزال يزداد مع مرور العصور والقرون جدة وحياة وثباتا واستقرارا، حتى أصبح كثير من الأمم المتحضرة تستمد منه ، وقررت مؤتمرات دولية اعتباره مصدرا من مصادر القانون في هذا العصر" (١)

(٢) بتصريف يسير من كتاب (مناهل العرفان) ج ٢ / ٤٣٣ ، ٤٣٤

الخاتمة وتحتوي على:

أولا : النتا ئج :

بعد السياحة والسباحة في هذا النهر العذب والمنهل الصافي – موضوع البحث– وبعد أن عشت فصوله ومباحثه دراسة وبيانا ، أستطيع أن ألخص أهم النتائج الآتية :

١– أن الإمام الزرقاني (رحمه الله) من أدق من كتبوا في موضوع الإعجاز القرآني في العصر الحديث بأسلوب آسر أخاذ ، ويستطيع الباحث ذو الحس المرهف أن يلمس هذا من تضاعيف كلامه وعذب منطقه و بلاغة حديثه .

٢ – استطاع الإمام الزرقاني تجلية بعض وجوه الإعجاز الجديدة من خلال فهمه لبعض نصوص الآيات القرآنية التي يتجلى فيها الإعجاز القرآني المدهش ، وذلك نلمسه من خلال توجيهه – مثلا– لآية المباهلة ، وآيات العتاب التي جاءت في القرآن الكريم للرسول (صلى الله عليه وسلم) .

٣– إن جل الباحثين في مجال الإعجاز القرآني في العصر الحديث لا يمكن إلا أن يسترشدوا بما كتبه الإمام الزرقاني في هذا المجال ، وذلك للوقوف على الحكم والأسرار المتعلقة ببعض أمور التشريع .

التوصيات:

فيما يلي أهم التوصيات التي توصلت إليها من خلال بحثي :

١- أرى أن يدرَس هذا الكتاب (مناهل العرفان) في كليات جامعة الأزهر الشريف وغيرها من أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات العربية والإسلامية والأجنبية وبخاصة الدراسات القرآنية.

٢- أحبذ أن يقوم كل داعية متخصص في مجال الدعوة والوعظ والإرشاد بقراءة وفهم كتاب مناهل العرفان وذلك ليتعلم من خلال منهج الإمام الزرقاني الأسلوب الأمثل لإيصال المعلومة بعبارة أدبية جيدة يتخللها في أحيان كثيرة حكم رقيقة وأمثال بليغة تبعث الهمم على العمل الدائب لنصرة هذا الدين والانقياد لتعاليمه .

٣- أوصي أبناءنا الطلاب بالجامعات المختلفة بقراءة كتاب مناهل العرفان ليتعلموا كيفية الرد على بعض الشبهات التي قد يثيرها أعداء الإسلام من وقت لآخر على كتاب الله تعالى أو على رسوله " صلى الله عليه وسلم".

٤- كما أوصي أن يكون مجال الإعجاز القرآني محل اهتمام جميع الباحثين والدارسين في العلوم القرآنية ، وذلك للتطور المعلوماتي المتجدد كل يوم والذي يستخدمه الحاقدون على الإسلام بغية النيل منه ، والمتمثل في كتاب الله تعالى ، وشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهرس الآيـــــات القرآنيـــــــــة

م	الآيـــــــــــــة	الســورة	رقـــم الآية	الصفحة
١	" الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم "	الفاتحة	١ : ٧	47
٢	"ذلك الكتاب لاريب فيه"	البقرة	٢	83
٣	" وبالآخرة هم يوقنون "	البقرة	٤	80
٤	"فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم"	البقرة	٢٣	١٠٤
٥	"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا"	البقرة	٣٢	85
٦	"ولكن الشياطين كفروا"	البقرة	١٠٢	43
٧	"وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى "	البقرة	١٢٠	١٠٣
٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِـــبَ عَلَـــيْكُمْ الْقِصَـــاصُ فِي القتلى"	البقرة	١٧٨	49
٩	"فمن بدله بعد ما سمعه"	البقرة	١٨١	50
١٠	"كتب عليكم الصيام"	البقرة	١٨٣	49
١١	"فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي"	البقرة	١٩٦	50
١٢	"ومن الناس من يعجبك قوله"	البقرة	٢٠٤	90
١٣	"يسألونك عن اليتامى"	البقرة	٢٢٠	49
١٤	"والمطلقات يتربصن بأنفسهن"	البقرة	٢٢٨	49
١٥	"وَالْوَالِـــدَاتُ يُرْضِـــعْنَ أَوْلادَهُـــنَّ حَـــوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ"	البقرة	٢٣٣	49
١٦	"ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك"	آل عمران	٤٤	89
١٧	"فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك"	آل عمران	٦١	97

١٨	"كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل"	آل عمران	٩٣	91
١٩	"ومن دخله كان آمنا"	آل عمران	٩٧	49
٢٠	"وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فضله"	آل عمران	١٨٠	50
٢١	"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كرها"	النساء	١٩	50
٢٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ	النساء	٢٩	50
٢٣	"فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون"	النساء	٤٨	١٠٤
٢٤	"إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات "	النساء	٥٨	49
٢٥	"أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين "	النساء	٦٩	86
٢٦	"أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غيرالله"	النساء	٨٢	15
٢٧	"وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تكن تعلم "	النساء	١١٣	99
٢٨	يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنْ السَّمَاءِ	النساء	١٥٣	١١٩
٢٩	"حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ"	المائدة	٣	50
٣٠	"قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين"	المائدة	١٥	83
٣١	"ومن لم يحكم بما انزل الله "	المائدة	٤٤	50
٣٢	"فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون"	المائدة	٥٢	14
٣٣	"ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ "	المائدة	٨٢	١١٤
٣٤	"قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ	الأنعام	٣٣	44
٣٥	"وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو"	الأنعام	٥٩	88
٣٦	"أو من كان ميتا فأحييناه"	الأنعام	١٢٢	١١٧

٣٧	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ	الأعراف	٣١	49
٣٨	"وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى المسيح ابن الله"	التوبة	٣٠	79
٣٩	"اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ"	التوبة	٣١	79
٤٠	"والذين يكنزون الذهب والفضة"	التوبة	٣٤	50
٤١	"عفا الله عنك لما أذنت لهم"	التوبة	٤٣	93
٤٢	"والذين اتخذوا مسجدا ضرارا"	التوبة	١٠٧	90
٤٣	"وقال الذين لايرجون لقاءنا"	يونس	١٥	98
٤٤	"قل انظروا ماذا في السموات "	يونس	١٠١	83
٤٥	"فاعلموا أنما أنزل بعلم الله"	هود	١٤	60
٤٦	"تلك من أنباء الغيب "	هود	٤٩	89
٤٧	"كذلك يضرب الله الأمثال"	الرعد	١٧	51
٤٨	"وجعلوا لله شركاء قل سموهم"	الرعد	٣٣	61
٤٩	"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"	الحجر	٩	45
٥٠	"أفمن يخلق كمن لا يخلق"	النحل	١٧	50
٥١	"إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم"	الإسراء	٧	86
٥٢	"ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن"	الإسراء	٨٩	51
٥٣	"كبرت كلمة تخرج من أفواههم"	الكهف	٥	٩٥
٥٤	"ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا"	الكهف	٢٣	95
٥٥	"ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن"	الكهف	٥٤	51
٥٦	"مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ "	مريم	٣٥	79
٥٧	"ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى"	طه	١١٤	96

٥٨	"إن هذه أمتكم أمة واحدة"	الأنبياء	٩	٨١
٥٩	"فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصدور"	الحج	٤٦	١٠٨
٦٠	" وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك"	الفرقان	٤–٦	١٢٠
٦١	"لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا"	الفرقان	٢١	61
٦٢	"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب"	النمل	٨٨	61
٦٣	"وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ فألقيه في اليم"	القصص	٧	53
٦٤	"وقالت امرأة فرعون قرت عين لي"	القصص	٩	61
٦٥	إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي	القصص	٥٦	٩٤
٦٦	"كل شيء هالك إلا وجهه"	القصص	٨٨	84
٦٧	"قد علمنا ما فرضنا عليهم"	الأحزاب	٥	49
٦٨	"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"	الأحزاب	٢١	86
٦٩	"سبحان الذي خلق الأزواج كلها "	يس	٣٦	84
٧٠	"قرآنا عربيا غير ذي عوج"	الزمر	٢٨	47
٧١	"ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة"	فصلت	٣٩	46
٧٢	" لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه"	فصلت	٤٢	13
٧٣	" من عمل صالحا فلنفسه "	فصلت	٤٦	86
٧٤	"أ فلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	محمد	٣٤	15
٧٥	"وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا"	الشورى	٥٢	99
٧٦	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	الحجرات	١٠	٨١
٧٧	"أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم"	ق	٦	46

٧٨	"ومن كل شيء خلقنا زوجين"	الذاريات	٤٩	84
٧٩	"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ"	الذاريات	٥٧	79
٨٠	"وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى "	النجم	٣،٤	١٢١
٨١	"تلك إذا قسمة ضيزى"	النجم	٢٢	72
٨٢	"وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ"	القمر	٣٦	71
٨٣	"سيهزم الجمع ويولون الدبر"	القمر	٤٥	90
٨٤	"لا يصدعون عنها ولا ينزفون"	الواقعة	١٩	٦
٨٥	"من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا"	الحديد	١١	50
٨٦	وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفكَّرُونَ	الحشر	٢١	٩٩
٨٧	وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ	المنافقون	٨	١١١
٨٨	"قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن"	الجن	١	40
٨٩	إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً	المزمل	٥	٩٩
٩٠	"ذرني ومن خلقت وحيدا"	المدثر	١١	43
٩١	"لاتحرك به لسانك لتعجل به"	القيامة	١٦	96
٩٢	"عبس وتولى أن جاءه الأعمى"	عبس	١	93
٩٣	فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى	الأعلى	٥،٦	٩٦
٩٤	"أفلا ينظرون ن إلى الإبل كيف خلقت"	الغاشية	١٧	86
٩٥	"وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ "	البينة	٥	72
٩٦	"فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره"	الزلزلة	٧	80

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

	يا إخوان القردة ويا إخوان الخنازير..))	
١٥	((عن رجل منهم أنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم على أن يصلي صلاتين (لا خمسا) فقبل منه))	٨٧
١٦	((فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم سُورَةَ يس إِلَى آخِرِهَا، فَبَكَوْا حِينَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ...))	١١٤
١٧	فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول إذا رآه: ((مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ، ويقول له : هل لك من حاجة))	٩٣
١٨	فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنشد ها ويعجبه شعرها فكانت تنشد وهو يقول ((هيه يا خنساء))	٦٩
١٩	((أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه الشريف))	٩٦
٢٠	يقول حذيفة ((كلما أتت آية رحمة سأل ، وكلنا أتت آية تسبيح سبح ...))	٦٨
٢١	وقال صلى الله عليه وسلم: ((لو نزلت آية عذاب ما نجا منها إلا عمر))	٩٢
٢٢	((هون عليك فإنني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد))	١٢٣
٢٣	وَقَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ وَلَوْ تَلَاعَنُوا لَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ...))	٩٧
٢٤	((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))	٨٧
٢٥	فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَا عَمُّ ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشمسَ فِي يَمِينِي، والقمرَ فِي يَسَارِي...))	١٠٣
٢٦	فَقَالَ: ((يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًا،فَيَسْكُنُ بِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ))	١١٨

فهرس المراجع

م	المؤلــــف	المرجــــــع	الصفحة
١	اللـــــه تعالى	القرآن لكريـــم	١٢٣: ٦
٢	الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني المتوفي سنة ١٢٧٠	روح المعاني في تفسير القرآن – تحقيق/ علي عبد الباري الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت	٩١
٣	إبراهيم بن إسماعيل الإبياري ت ١٤هـــ	الموسوعة القرآنية الناشر / مؤسسة سجل العرب – طبعة سنة ١٤٠٥ هـــ	١٠٤
٤	إبراهيم بن عبد الله المطلق	التدرج في دعوة النبي طبع ونشر / وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـــ	٣٩
٥	أحمد العلاونه	ذيل الأعلام الناشر/دار المنارة ط/ أولى ١٩٩٨م	٢١
٦	أحمد بن محمد الأدنروي	طبقات المفسرين – تحقيق سليمان بن صالح الخزي الناشر/ مكتبة العلوم والحكم	١٠
٧	أحمد بن محمد المقري	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – تحقيق / إحسان عباس– ط / دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨ م	١٠
٨	الباقلاني: أبو بكر بن	إعجاز القرآن تحقيق /السيد أحمد صقر	٥٦

	الطيب بن محمد بن جعفر	الناشر/ دارا لمعارف	
٩	البخاري: محمد بن إسماعيل	الجامع الصحيح – تحقيق / محب الدين الخطيب- راجعه/ قصي محب الدين الخطيب – الناشر/ المطبعة السلفية ٢١ ش الفتح بالروضة القاهرة	١٢٣
١٠	الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب البصري ت ٢٥٥هـ	الحيوان الناشر/دار الكتب العلمية بيروت لبنان- الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤ هـ عدد الأجزاء ٧	٥٨
١١	الجاحظ :عمرو بن بحر بن محبوب البصري	رسائل الجاحظ – تحقيق /عبد السلام هارون – عدد ٣ أجزاء	٥٥
١٢	الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن	دلائل الإعجاز المحقق/ محمود محمد شاكر- الناشر/ مطبعة المدني بالقاهرة وجدة الطبعة الثالثة	٥٩
١٣	د / جواد علي	المفصل في تاريخ العرب – ٤ أجزاء	١١٦
١٤	جون امبروز فلمنج	الموسوعة العربية الميسرة – ط ١٩٦٥ م – مترجم	١١٥
١٥	ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني	فتح الباري بشرح صحيح البخاري راجعه/ طه عبد الرؤوف سعد – طبع/ مكتبة القاهرة – الصنادقية – الأزهر – القاهرة.	٦٩
١٦	ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل	مسند الإمام أحمد – تحقيق شعيب الأرناؤوط – ط / مؤسسة الرسالة الأولي	٩٦
١٧	خالد بن عثمان السبت	مناهل العرفان للزر قاني/ دراسة وتقويم	١٨

		– طبع /دارا بن عفان للطبع والنشر	
١٨	الخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي	إعجاز القرآن – تحقيق/ محمد خلف الله – طبعة / دار المعارف سنة ١٣٧٢ هـــ	٩
١٩	الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت ١٧٠ هـــ	العين تحقيق / مهدي المخزومي طبع ونشر/ دارمكتبة هلال عدد الأجزاء ٦٨	٧٤
٢٠	دراز: محمد عبد الله دراز ت١٣٧٧هـــ	النبأ العظيم اعتنى به / احمد مصطفى الناشر/دار القلم ط / مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـــ	٨٩
٢١	الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	سير أعلام النبلاء – تحقيق محمد نعيم العرقسوسي– طبع / مؤسسة الرسالة – بيروت لبنان	٥
٢٢	الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – تحقيق / د عمر عبد السلام تدمري	١٠٩
٢٣	الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين	تفسير الرازي مفاتيح الغيب أوالتفسير الكبير – ط/ دار التراث بيروت الثالثة ١٤٢٠	٧٣
٢٤	الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٦٦٦هـــ	مختار الصحاح المحقق/يوسف الشيخ محمد – الناشر/ المكتبة العصرية– الدار النموذجية بيروت الطبعة الخامسة	٤٢
٢٥	الرافعي : مصطفى صادق الرافعي	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – طبع ونشر / دار المنار القاهرة و مكتبة	٦٢

		فياض بالمنصورة	
٢٦	الرماني : علي بن عيسى الرماني	النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تحقيق / محمد خلف الله –طبع / دار المعارف – القاهرة	٨
٢٧	الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي	تاج العروس من جواهر القاموس – الناشر/ دار الهداية	٤٢
٢٨	الزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحق الزجاج ت ٣١١	معاني القرآن وإعرابه الناشر / عالم الكتب بيروت – الطبعة الأولى سنة١٤٠٨هـــ	٩٥
٢٩	الزحيلي : وهبة بن مصطفى الزحيلي	التفسير الوسيط الناشر /دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـــ عدد ١٢	٨٠
٣٠	الزرقاني :محمد عبد العظيم الزرقاني	مناهل العرفان في علوم القرآن – ط / المطبعة الفنية بالقاهرة – طبق ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في دراسة تخصص الكليات الأزهرية	٤٧
٣١	الزرقاني : محمد عبد العظيم الزرقاني	مناهل العرفان في علوم القرآن – طبع ونشر/مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه	٤٠
٣٢	الزركلى : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلى	الأعـــــــــــــــــلام – طبعة / ١٥ دار العلم للملايين بيروت لبنان	٦

٣٣	الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – المزود بأربعة كتب بحواشيه– ترتيب وطبع وتصحيح/ محمد عبد السلام شاهين – طبع ونشر / دار الكتب العلمية بيروت لبنان	٦٠
٣٤	سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي	في ظلال القرآن –الناشر/ دار الشروق بيروت ط /١٧ سنة ١٤١٢ هـ	٨٤
٣٥	بنت الشاطئ :عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ت١٤١٩ هـ	الإعجاز البياني للقرآن نشر دار المعارف الطبعة الثالثة	٥٤
٣٦	الشعراوي: محمد متولي الشعراوي	تفسير الشعراوي الخواطر طبع ونشر/مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م عدد الأجزاء ٢٠	٩٥
٣٧	الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الشوكاني	نيل الأ وطار – طبع ونشر/ مكتبة دار التراث ٢٢ش الجمهورية القاهرة	٨٨
٣٨	الصاحب بن عباد: إسماعيل بن عباد بن العباس– ت ٣٨٥ هـ	المحيط في اللغة	١٠٨
٣٩	للدكتور صبحي الصالح	مباحث في علوم القرآن.– الناشر دار العلم للملايين المتوفى سنة ١٩٨٦	٢٢
٤٠	الطبري : محمد بن جرير	جامع البيان في تأويل القرآن –	٧

	الطبري ت ٣١٠ هـــ	تحقيق/محمد أحمد شاكر– ط ونشر/مؤسسة الرسالة ط ١	
٤١	ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية المتوفى سنة ٥٤٦ هـــ	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.	٥٣
٤٢	العيني: محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني	عمدة القاري بشرح صحيح البخاري – الناشر / دار إحياء التراث العربي	٢٨
٤٣	الفارابي: إسماعيل ابن نصر بن حماد الجوهري الفارابي	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار– الناشر / دار العلم للملايين – بيروت ط ٤	٦٤
٤٤	الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت ١٧٠ هـــ	العين تحقيق / مهدي المخزومي طبع ونشر/ دارمكتبة هلال عدد الأجزاء ٦٨	٧٤
٤٥	القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجى الأندلسي أبو عبد الله القرطبي ت٦٧١هـــ	الجامع لأحكام القرآن. تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة	٥٣
٤٦	ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير	البداية والنهاية – طبع ونشر / دار الغد العربي – العباسية القاهرة	١٢٠
٤٧	ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري –	تفسير القرآن العظيم المحقق/ سامي بن محمد سلامة – الناشر / دار طيبة	١٠٠

	ت ٧٧٤ هـ	للنشر والتوزيع- الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ	
٤٨	لطفي عبد الوهاب يحيي	اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري	١٢٥
٤٩	الماوردي : علي بن حبيب الماوردي	أعلام النبوة – الناشر / مكتبة الهلال بيروت ط الأولى سنة ١٤٠٩هـ	١٢٣
٥٠	مجلة الهداية الإسلامية	عدد شهر ربيع الأول عام ١٣٥٢هـ	١٩
٥١	مجمع اللغة العربية مصر ٢٠٠٤	المعجم الوسيط – ط/ مكتبة الشروق الدولية	١٠٨
٥٢	مجمع اللغة العربية بالقاهرة	المعجم الوسيط – تحقيق/ إبراهيم مصطفى- الناشر / دار الدعوة	٦١
٥٣	مجمع اللغة العربية بالقاهرة	المعجم الوجيز – وزارة التربية والتعليم طبعة سنة ٢٠٠٤م	٦٢
٥٤	محمد بكر إسماعيل ت ١٤٢٦هـ	دراسات في علوم القرآن الناشر/ دار المنار- الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ	٤٢
٥٥	محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة المتوفي١٣٩٤ هـ	المعجزة الكبرى القرآن الكريم الناشر/دار الفكر العربي عدد الأجزاء ١	٧٠
٥٦	محمد خير رمضان يوسف	المستدرك الثاني لتتمة الأعلام – طبع ونشر/ دار ابن حزم بيروت لبنان	١٢
٥٧	محمد رشيد رضا الحسيني ت ١٣٥٤هـ	تفسير المنار الناشر/ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠ عدد الأجزاء ١٢	٧٩
٥٨	محمد بن صالح العيثيمين ت١٤٢١هـ	شرح الأربعين النووية الناشر/ دار الثريا للطبع والنشر عدد الأجزاء واحد	٦٨

٥٩	محمد على بن محمد بن إبراهيم البكري الشافعي ت ١٠٥٧هـ	دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين الناشر/ دارا لمعرفة بيروت الطبعة الرابعة	٩٤
٦٠	محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣هـ	التحرير والتنوير الناشر/ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م	٧٣
٦١	ابن منظور : محمد بن أحمد بن عيسى بن منظور	لسان العرب – نشر/ دار صادر بيروت– الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ	٥٨
٦٢	ابن النديم : محمد بن اسحق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم ت ٤٣٨ هـ	الفهرست تحقيق/ إبراهيم رمضان– طبع ونشر/ دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية١٤١٧ هـ	٧
٦٣	النووي: أبي زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – الناشر/ دار إحياء التراث العربي بيروت – الطبعة الثانية	٢٨
٦٤	النووي: أبي زكريا محيي الدين يحيي بن شرف النووي	رياض الصالحين –طبعة مؤسسة الرسالة بيروت	٨٧
٦٥	الواحدي: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ت ٤٦٨ هـ	أسباب النزول تحقيق/كمال بسيوني زغلول – الناشر/دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ	١١٤

فهرس الأعـــــــلام

	سنة ٦٥٦ هـــ .	
١٢	أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي المتوفى سنة٢هــ	٤٣
١٣	جيمس جينز : عالم طبيعي رياضي إنجليزي مشهور	٨٤
١٤	حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري النّجّاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٦
١٥	أبو حيان: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـــ .	١٠
١٦	الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي المتوفى سنة٣٨٨ هـــ .	٩
١٧	الخنساء :تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُّلَمية ت ٢٤هـــ	٦٩
١٨	الرازي: محمد بن عمرين الحسن بن الحسين التيمي البكري فخر الدين الرازي المتوفى سنة ١٣٩٦هـــ .	١٠٥
١٩	الرافعي: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي المتوفى سنة ١٣٥٦ هـــ .	١٢
٢٠	الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي المتوفى سنة ٣٨٤ هـــ .	٨
٢١	الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني المتوفى سنة١٣٦٧ هـــ	١٨
٢٢	الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٦٠٦هـــ	١١
٢٣	الزمخشري: أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد الزمخشري المعتزلي المتوفى سنة ٥٣٨ هـــ .	٨
٢٤	زيد بن حارثة: زيد بن شرا حيل أو شرحبيل الكلبي الصحابي رضي الله عنه المتوفى سنة ٨ هـــ .	١٢٠

٢٥	السجستاني: أبو بكر عبد الله بن أبي داوود السجستاني المتوفى سنة ٣١٦ هـ .	٦
٢٦	أبو السعود : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى أبو السعود المتوفى سنة ٩٨٢هـ .	١٠
٢٧	ابن سنان: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ .	٥٨
٢٨	سولون : شاعر ورجل قانون أثيني وأحد حكماء الإغريق السبعة المشهورين المتوفى سنة ٥٥٨ ق . م	١٢٥
٢٩	سيد قطب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٩٦٦م .	١٣
٣٠	السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .	١١
٣١	الشوكاني: أبو علي بدر الدين محمد بن علي بن محمد ابن عبد الله بن رزق الشوكاني المتوفى ١٤١٤هـ .	١٠
٣٢	صبحي الصالح المتوفى سنة ١٩٨٦ م .	٢١
٣٣	الطبري : ابن جرير الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ابن يزيد بن غالب الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ .	٧
٣٤	عبد الصبور مرزوق المتوفى سنة ٢٠٠٨ م .	١٢١
٣٥	عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، الصحابي الجليل استشهد في مؤتة سنة ٨ هـ.	٦٧
٣٦	ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية المتوفى سنة ٥٤٦ هـ .	١٠
٣٧	عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي من ملوك قحطان	١١٦
٣٨	ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .	٧

٣٩	القرطبي : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي ت٦٧١هـ .	١٠
٤٠	الكافيجي : محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي أبو عبد الله الكافيجي المتوفى ٨٧٩ هـ .	١١
٤١	كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني الشاعر ابن الشاعر المتوفى سنة ٢٦ هـ.	٦٦
٤٢	محمد حسين الذهبي المتوفى سنة ١٩٧٧ م .	١٢
٤٣	محمد عبد الله دراز المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ .	١٢
٤٤	محمد علي حسن فاضل من أهل تونس .	١٣
٤٥	المرتضى : علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي المرتضى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ	١٠٩
٤٦	مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ت١٢هـ	٧٦
٤٧	مناع القطان: مناع خليل القطان المتوفى سنة ١٩٩٩	٢١
٤٨	النظام : أبو اسحق إبراهيم بن سيار الضبعي البصري المتوفى سنة ٢٣١ هـ .	٥
٤٩	الو اسطي : أبو عبد الله الو اسطي محمد بن زيد بن علي بن الحسين الو اسطي المتوفى سنة ٣٠٧ هـ .	٨
٥٠	واصل بن عطاء : أبو حذيفة المخزومي البصري الغزال المتوفى سنة ١٣١ هـ .	٥
٥١	ورقة بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى المتوفى سنة ١٢ قبل الهجرة نحو ٦١١ ميلادية.	١٢٠
٥٢	الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبدشمس.	٤٢

فهرس الأبيات الشعرية

الفهـــرس العـــــــــــــــــــام